19me, année No 941

Le Caire 16 — 7 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٤١ « القاهرة في يوم الاثنين ١٢ شوال سنة ١٣٧٠ — ١٦ يوليه سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

هل الأدب قد مات ؟

وزارة المعارف تقتل الأدب !

للأستاذ سيد قطب

— ٢ —

منذ عشرات السنين ووزارة المعارف دائبة — عن طريق المدرسة — في قتل الأدب والروح الأدبية في نفوس الطلاب !

إنها جادة في هذه العملية كما لو كانت هدفها الأول . فالمدرسة المصرية لا تجيد شيئا كما تجيد هذا الواجب ، ولا تفلح في شيء كما تفلح في أدائه !

كل ما في المدرسة يمشي على هذه الغاية ويؤدي إليها : طريقة وضع المنهج ، اختيار المقررات ، تأليف الكتب المدرسية ، طرق التدريس ، استخدام المكتبة ... كل شيء . كل شيء يؤدي إلى هذا الهدف الأول الذي تمتز به المدرسة المصرية في ماضيها وحاضرها !

هذا المنهج المفكك الذي لا يعقد صلة بين حاجات الحياة وواقع الحياة ، وبين الموضوعات التي تدرسها المدرسة وبخاصة في اللغة العربية ؛ والذي ينتهي إلى تقرير عقيدة خاطئة في نفوس الطلاب ، هي أنهم لا يدرسون ما يدرسون في المدرسة لأنه ذو صلة حية بحياتهم وتفكيرهم وبحاجات جيلهم واتجاه مجتمعهم ؛ إنما يدرسونه لأنه ضريبة مفروضة عليهم ، ضريبة كريهة يؤدونها للنجاح ، والقسم الورقة التي تفتح لهم مصاريع الدواوين ، وغير الدواوين

ومن هنا تنشأ في نفوسهم عداوة القراءة ، والاستهانة بها . والحياة عادة ؛ فإذا لم تكن القراءة عادة محبوبة في سنوات الدراسة ، فقلما تكون في المستقبل ، اللهم إلا للتسلية الفارغة التي تلبيها أرخص الأقلام !

وهذه المقررات الجافة الفارغة السخيفة ، وبخاصة في تاريخ الأدب ، وفيما يسمونه « البلاغة » . أي شيء يمكن أن يثير الكراهية والسأم والنفور من القراءة ومن الأدب أكثر من هذه البلاغة ؟ ! أي سخف وأية غثاثة أكثر من إجراء الاستعارات ، وفرز التشبيهات ، وتصنيف المجازات ؟ وما غناء هذا كله في تكوين الذوق الأدبي ، أو تكوين الشعور بجدية الأدب ؟

إن هذه « البلاغة » كانت قواعد للنقد الأدبي . وقد وضعت في عصور انحطاط الذوق الأدبي ، وعصور انحطاط النقد الفني ، فهي قواعد كاذبة وخاطئة وبدائية ، لا تؤدي إلى تكوين ذوق ، ولا ملكة نقد ، ولا يجوز أن تدرس إلا في المجال التاريخي للمحاولات الأولية للنقد في الأدب العربي ، وموعد هذه الدراسة التاريخية ليس هو المدرسة الثانوية ، إنما هو دراسات التخصص الجامعية

وأما تاريخ الأدب فشأنه هو الآخر عجيب . ومقرراته في المدرسة الثانوية تشهد بما لا شهادة بعده على جهالة وزارة المعارف

بكل شيء عن طاقة الطلاب ، وعن طاقة الزمن ، وعن مهمة المدرسة .. وإلا فما غناء أن يدرس طالب المدرسة الثانوية تلك الحقبة الطويلة من الزمن من الجاهلية إلى العصر الحديث ، وتلك السلسلة الطويلة الحلقات من الأدباء والشعراء في هذا المدى الواسع ، وهو لم يدرس إلا القليل التافه من النصوص الأدبية التي أنتجتها تلك العصور ، وأخرجها ذلك الحشد من الكتاب والشعراء ! !

إن جسم الأدب هو النصوص ، لا تاريخ الأدب ولا دروس البلاغة ! جسم الأدب الحي الذي يمكن أن يربى حاسة التذوق الفني هو تلك القصائد والمقطوعات والقطع الأدبية ، والأقصوصة والرواية والبحث .. إلى آخر الفنون الأدبية المختلفة .. وهذا ما يجب أن ينفق فيه الطلاب ذلك الوقت وذلك الجهد اللذين ينفقان في دروس البلاغة وفي دروس تاريخ الأدب المملة

وإنه لخير للطالب الثانوي أن يقرأ في كل عام كتابين : يحتوي أحدهما مختارات منوعة من جيد النصوص الأدبية الحية ، يشرف على اختيارها أدباء في ذوقهم حياة ، وفي حسهم تفتح ، وهم غير موظفي وزارة المعارف بكل تأكيد ! . . . وأما الثاني فيتناول موضوعا قائما بذاته ، قصة أو بحثا أدبيا أو اجتماعيا ..

خير للطلاب أن يدرسوا كتابين على هذا النحو في العام ، يجدون فيهما غذاء فكريا وغذاء روحيا ، ويحسون أن للقراءة المتصلة قيمة في فهمهم للحياة وإدراكهم للأشياء .. من تمضية الوقت في إجراء تلك الاستعارات الفارغة الهازلة ، وفي المرور سراعا على خط سير الأدب الطويل ، وترديد الألفاظ والعبارات كالببغاوات

وبهذا وحده يمكن أن نعقد صلة مبكرة بين الكتاب والطلاب . فلا يعود الكتاب في نظرهم عدوا كريها ، أو نسخة زرية . ولا تقتل في نفوسهم بذرة الأدب وهم بعد في سن الطراءة والشباب !

ولقد عمدت وزارة المعارف في السنوات الأخيرة إلى تخصيص كتب للقراءة . ولكنها لم تذهب بتلك البلاغة الملونة ولم تقتصد في تاريخ الأدب الممل ... ثم – في الغالب – لم تكن موفقة في اختيار كتب القراءة المناسبة لكل سن وطاقة .. لقد دخلت الحسوبية في اختيار الكتب . المحسوبية البغيضة التي لم يكن يفوت الطلاب أن يدركوها في معظم الأحيان

كان الطلاب يعرفون أن هذا الكتاب الذي قررت عليهم قراءته ، إنما قرر لأن صاحبه صديق للوزير ، أو نصير لعهد الوزير ، أو موظف في مكتب الوزير ... !

كانوا يشعرون أن هذا الكتاب ضريبة مفروضة عليهم ليصل إلى جيب صاحبه بضع مئات أو بضعة ألوف من الجنيهات ، وهذا الشعور وحده كفيل بأن يفسد في نفوسهم كل معنى للقراءة ، وكل قيمة الكتاب ، بل كل شعور بجدية هذه القراءة وجدواها ! وبأن يجعل منهم أعداء للقراءة التي تحمل هذا الظلم الحقير !

فلما شاءت الوزارة أن تبدو نزيهة حذفت هذه الكتب حذفا باتا ! فكانت نزاهتها أشد إيذاء من محسوبيتها . وباء الأدب بالخسارة في الحالين ! .

فأما الكتب المدرسية فطريقة تأليفها وحدها كفيلة بتنفير أي راغب في الكتاب .. إنني ما أمسكت بكتاب مدرسي حتى وأنا في هذه السن إلا أجفلت وخشيت أن تكتب على الردة إلى عهد التلمذة ، فيحكم على بقراءة هذه الكتب والعياذ بالله !

التفكك ، والغثاثة ، وفساد الذوق ، وسطحية التصور ، وجفاف التعبير .. تلك خصائص الكتاب المقرر في وزارة المعارف ، وبخاصة في مقررات اللغة العربية المنكوبة باللجان الرسمية ، واحتكار التأليف !

ولو ترك الأمر لكل مدرسة أن تقرر الكتب التي تراها كفيلة بخدمة النهج المقرر والوفاء به ، لا تفسح المجال للتجديد والتنويع . ولكن احتكار تقرير الكتب لوزارة المعارف حيث لا تقرر إلا كتب معينة ، يعرف أصحابها أقصر الطرق للتفاهم مع المسؤولين ! هذا الاحتكار هو الأداة التي تقتل الوزارة بها الأدب في ماضي الطلاب ومستقبلهم ، وتوقع بينهم وبين القراءة عداوة الأبد وكراهة العمر !

وأما طرق التدريس فهي آفة الآفات . . إنها هي التلبية الطبيعية لطريقة الامتحانات في المدرسة المصرية ، تلك الطريقة التي لا تتطلب إلا تعاطي العلم في صورة « برشامة » مركزة ، تفرغ في ورقة الإجابة ، فيتم المراد

ومن هنا تنتشر تلك الملخصات العجيبة التي لا نظير لها في مدارس العالم . فالمفروض في الدراسة أن تدرب الطالب على الانتفاع بالمصادر والمراجع ، وعلى أن يحصل لنفسه من المطولات

أما طريقة التدريس المصرية فتهدف أول ما تهدف إلى أن يفقد الطالب قدرته الاستقلالية ! وأن يعتمد على المدرس كل الاعتماد ، والمدرس يعتمد على الكتاب المقرر — لا على مراجع أوسع — ويجمع للطلبة خلاصات صغيرة تعينهم على المرور في الامتحان ، أو يقوم بعضهم بعمل ملخصات تغني حتى المدرس عن الرجوع إلى الكتاب المقرر !

لماذا ؟ لأن الامتحان هو الامتحان !

ولما قيل لوزارة المعارف : إن طريقة امتحاناتك تؤدي إلى هذه الكارثة . قالت : وهو كذلك . وإذن فسلني الامتحان !

إن العيب ليس في الامتحان ذاته يا وزارة المعارف ، إنما هو في طريقة الامتحان . وما من شك أن أيسر الطرق هو الإلغاء الكامل ؛ ولكن هذا الإلغاء ليس هو العلاج الفني الذي يدل على أن الأمر يتولاه من لهم إلمام بهذه الأمور !

إن العلاج هو أن يوجه الامتحان إلى اختبار مجموعة قوى الطالب ودراساته ، وأن يوجه الطالب إلى الاعتماد على المراجع المطولة في المادة لا على الكتاب المقرر ولا على الملخصات .

وإلغاء الكتاب المقرر ، وترك الدراسة حرة في عدة كتب مختارة في كل مادة هو الخطوة الأولى في هذا الاتجاه

وأخيراً يجيء دور المكتبة ، وهو الدور الذي ليس له وجود!

إن مكتبة المدرسة مخزن مغلق ، تبعث إليه وزارة المعارف بين الحين والحين بطائفة من الكتب التي يعرف أصحابها أقصى الطرق لمن يقررون كتب المكتبات في وزارة المعارف في جو غريب مريب في أكثر الأحيان !

وهناك تبقى مغلقة لا علاقة لها بنظام الدراسة ، ولا بالطلبة ، ولا بالمدرسين بوجه عام !

لقد اقترحت مرة على وزارة المعارف أن تزيل الغبار من سمعتها في أسواق الوراقين . وهي سمعة لا يسر الوزارة أن تعرفها ، ورائحة لا يريحها أن تشمها !

لقد اقترحت عليها أن تنشئ ألف مكتبة فرعية صغيرة في المدن الصغيرة والقرى الكبيرة ، لا يكلف إنشاء الواحدة منها أكثر من مائة جنيه للأثاث

وأن تتفق مع دور النشر المعتمدة أن تبعث بألف نسخة من كل كتاب تصدره إلى هذه المكتبات العامة بمجرد صدوره . على شرط أن تؤلف كل دار لجنة خاصة بها من بعض الأدباء الموثوق باطلاعهم لتراجع كل كتاب تصدره ، بحيث لا ترسل إلى المكتبات العامة كتاباً لم تقره لجنتها التي تعرفها وزارة المعارف وتثق بها

ولكي تتأكد الوزارة أن هذه اللجان تقوم بواجبها ، تنشئ هي إدارة خاصة أو مراقبة وظيفتها مراقبة مطبوعات كل دار . فإذا اتضح لها في نهاية العام أن هذه الدار أسفت في إنتاجها أو بالغت في أسعارها ، حذفت اسمها من القائمة لعام أو أكثر حسب مقتضيات الأحوال

وقلت : إن هذا الاقتراح كفيل بأن يضمن للكتاب الجيد الوجود والرواج ، لأن ضمانة الناشر لألف نسخة في اليوم الأول لصدور الكتاب تشجعه على النشر ، وطلب الكتاب الجيد والكاتب المجود . . وكفيل كذلك بانتشار حركة القراءة في أوساط جديدة كثيراً ما يتعذر عليها شراء الكتاب أو استعارته ، وكفيل في الوقت ذاته بالإعلان عن الكتاب الجيد لمن يريد اقتناءه في هذه الأوساط

ولكن هذا الاقتراح لم يؤخذ به ، لأنه يحرم بعض دور النشر المحظوظة من الاستيلاء على أكبر مبلغ من ميزانية الكتب في وزارة المعارف . أو يحرم بعض ذوي النفوذ من الاتجار بنفوذهم في سوق الوراقين ! ويحرم بعض ذوي الشفاعات من المؤلفين أن يستمتعوا بالربح الحرام !

وما تزال وزارة المعارف دائبة في عملية قتل الأدب بمعرفتها الخاصة ، وبمعرفة المدرسة ومناهجها ومقرراتها ، وكتبها ومكتباتها ، وطرق التدريس فيها وطرق الامتحان

وعلى رأس وزارة المعارف أديب . وقل أن تظفر الوزارة بأديب ! فإذا لم يتم اليوم انتصار الأدب في وزارة المعارف فلست أدري متى يتم الانتصار . وإذا لم يتم إنقاذ الأدب على يدي طه حسين فلست أدري على يدي من يكون الإنقاذ !

سيد قطب

بيننا وبين الانجليز

الأستاذ أبو الفتوح عطيفة

« إن المسألة الرئيسية بالنسبة لنا (الإنجليز) هي كيف يمكن أن تغادر قواتنا القاهرة في الحال »

من اللورد نورثبروك وزير البحرية إلى ماجور بارنج (كرومر) في سبتمبر سنة ١٨٨٣

« إن إنجلترا حريصة على أن يظل باب المفاوضات مع مصر مفتوحا » ٠ يونية سنة ١٩٥١

وشر البلية ما يضحك

قل يا أهل ... تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم

في سنة ١٨٨٢ احتلت إنجلترا ديارنا وقضت على الثورة العرابية وقبضت على زعمائها وحوكموا وحكم عليهم بالإعدام ثم استبدل بهذا الحكم النفي المؤبد ونفى الزعماء المصريون إلى جزيرة سرنديب

وهنا يجدر بنا أن نتساءل : لم تدخلت بريطانيا في شؤوننا واعتدت على استقلالنا ؟ إن الثورة العرابية كانت ثورة دستورية ونزاعا بين الخديو ووزرائه ، وكانت مطالب العرابيين الرئيسية تنحصر في توسيع اختصاصات مجلس شورى النواب الدستورية حتى تصبح الوزارة مسئولة أمام المجلس حتى يكون المجلس حق مناقشة الميزانية، وهو حق طبيعي للمجالس النيابية في جميع البلاد الدستورية . ومنعا لتدخل الدول استبعد المجلس حق مناقشة الجزء الخاص بالدين وبالتصفية المالية من الميزانية

ومع هذا فقد تطوعت بريطانيا بتقديم مساعداتها للخديو وعرضت عليه حمايته ضد شعبه ووزرائه الذين لم يكونوا خارجين عليه ، وقتلت أعرق أمة دستورية (إنجلترا) الروح الدستورية في مصر ، واحتلت أراضيها دون أن تعتدى مصر عليها فكان هذا العدوان أول جريمة ترتكبها في الشرق الأدنى

سياسة تقليدية :

إن بريطانيا لا تسير في سياستها الخارجية وفق خطط ارتجالية، وإنما تسير وفق سياسة تقليدية يتبعها وزراء خارجيتها مهما كان لونهم السياسي ومهما اختلفت أحزابهم . وقد كانت سياسة بريطانيا التقليدية منذ قدوم نابليون في حملته سنة ١٧٩٨ منع قيام دولة قوية في مصر، ومنع مصر من الوقوع في يد دولة أجنبية معادية . وطبقا لهذه السياسة وقفت موقفا عدائيا ضد محمد على سنة ١٨٣٩ — ١٨٤١ وألزمته أن يقيم في داخل « قوقعته » مصر على حد تعبير وزير خارجيتها بالمرستون

وقد قامت المنافسة بين فرنسا وبريطانيا حول الاستئثار بالنفوذ في مصر ، وجعلت فرنسا تعمل دائما على حفر قناة السويس لتصل الشرق بالغرب مما يجعلها أقرب إلى الشرق ، أما بريطانيا فقد عملت على إنشاء خط حديدي بين الإسكندرية والسويس

وقد نجحت إنجلترا في تحقيق غايتها في عصر عباس باشا الأول ؛ إذ بدئ بتنفيذ مشروعها فأنشئ الخط الحديدي بين القاهرة والإسكندرية ، ثم أنشئ بعد ذلك الخط الحديدي بين القاهرة والسويس

أما فرنسا فلم تيأس بعد ، ورغم أن محمد على رفض مشروع القناة قائلا « إنني لا أريد أن أجعل من قنال السويس بسفورا آخر » استطاعت فرنسا أن تقنع سعيد باشا بفوائد المشروع ، وحصلت منه على امتياز بحفره، وبدأ العمل ١٨٥٨ . قلقت إنجلترا على مصالحها في الهند، وصرح رئيس وزرائها بالمرستون ١٨٦٠ قائلا: « أخشى أن يؤدى حفر قناة السويس إلى احتلال إنجلترا لمصر » ومات بالمرستون ولكن إنجلترا ظلت تعمل دائبة على تحقيق فكرته . وفي ١٨٨٢ دون أي اعتداء من ناحية مصر احتلت إنجلترا الأراضي المصرية ثم أعلن وزراؤها منذ الساعة الأولى عزمهم على الجلاء عن مصر فورا ، ومع ذلك لحتى هذه الساعة لم تبر إنجلترا بوعدها ، وما تزال تماطل في الجلاء بل وتدعى صداقتها لمصر !!

ولم يقبل المصريون هذا الاحتلال وقاوموه منذ الساعة الأولى ، وكان أول أبطال مصر الذين حملوا علم الجهاد مصطفى كامل باشا . ثم في ١٩١٩ هبت مصر ثائرة تطالب بحريتها واستقلالها، ووقف المصريون صفا واحدا يبذلون دماءهم في سبيل

استقلالهم، وتزعم الحركة سعد زغلول باشا وعبد العزيز فهمى باشا وعلى شعراوى باشا

ولكن مصر على رغم إيمانها العميق بعدالة قضيتها لم تستطع حتى الآن تحقيق أهدافها، وهى الجلاء ووحدة وادى النيل التى أقامها محمد على منذ ١٨٢٠ . ويرجع ذلك إلى دهاء ساسة بريطانيا مما مكن لهم من إيقاع الفرقة فى صفوف زعماء مصر ونجاح بريطانيا فى تحقيق سياسة « فرق تسد »

وعندى أن مصر تستطيع أن تحقق أهدافها فى أقصر وقت إذا استطاع زعماؤها أن يوحدوا صفوفهم وخططهم، وأن يقبلوا صفا واحدا رافعين لواء الجهاد وخلفهم أمة مؤمنة على أتم استعداد لبذل دمائها وأموالها فى سبيل حريتها واستقلالها

وإنى أضرب للقارئ الكريم مثلا يمكن به تحقيق أهدافنا بالطرق السلمية . ماذا يكون مصير القوات البريطانية فى قنال السويس إذا تكتل المصريون حكومة وشعبا، ورفضوا إمداد هذه القوات بالغذاء والماء والمال، ثم امتنع المصريون عن شراء البضائع الإنجليزية، وكذلك رفضوا بيع قطنهم وحاصلاتهم لبريطانيا ؟ إننى أؤمن أن بريطانيا لن تستطيع مقاومتهم وستستجيب حتما إلى طلباتهم . وقد اتبع غاندى هذه الخطة فى الهند، وبواسطتها حصلت الهند على استقلالها

إننى أنظر إلى الماضى البعيد فأرى مصر فى تاريخها القديم دولة قوية، ولها إمبراطورية واسعة فى وقت لم تكن فيه بريطانيا شيئا مذكورا . وفى العصور الوسطى كانت الإمبراطورية الإسلامية أقوى دول الأرض جميعا وكان اسم المسلمين يثير الرعب والفزع فى قلوب أهل الغرب كافة . فماذا دها الشرق حتى استأسد عليه الغرب

قلب النظر أيها القارئ الكريم فى أحوال الشرق تر عجبا ؛ فبريطانيا تحتل قنال السويس فى مصر، وتحتل السودان باسم مصر، وبينها وبين العراق وشرق الأردن معاهدة صداقة !! وهى تحتل عدن وليبيا أيضا . وأما فرنسا فتحتل تونس والجزائر ومراكش وتعتدى على حريات ملوكها وحكامها ؛ فما سر ذلك ؟

نحن قوم بلا مبادئ وبلا زعماء . إننا نريد زعماء يؤمنون حق الإيمان بعدالة قضايانا، وإن اتحاد صفوفنا وإيماننا بحقوقنا هما

الطريق إلى استقلالنا

إن أمم الغرب أعلنت أكثر من مرة بأن لكل قوم الحق فى تقرير مصيرهم . وفى ميثاق الأطلنطى ١٩٤١ أعلنت أمريكا وبريطانيا أنهما تحترمان الحريات السياسية والقومية والفكرية والدينية ، كان ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية ، وكانت الدولتان تفعلان ذلك تخديرا للشعوب ، وضما لها إلى جانبها ، فلما انتهت الحرب تبخرت الوعود والمواثيق وذابت المبادئ

أيها البريطانيون :

إن كنتم تريدون صداقة العرب حقا فليس أمامكم إلا أمر واحد ؛ هو الاعتراف باستقلال الأمم العربية استقلالا تاما، ورد عرب فلسطين إلى أوطانهم، وبدون ذلك لن تكون هناك صداقة بيننا وبينكم، وما عدا ذلك فهراء لا يغنى ولا ينفع

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسمنود الثانوية

الصلات الشخصية بالعباقرة

للأستاذ محمد خليفة التونسي

إن العملة التي يتعامل الناس بها في حيواتهم هي الأشخاص وأعمالهم المنظورة، لا المبادئ والأفكار المجردة. ومن هنا تظهر خطورة «الصحبة» التي تتأثر فيها شخصية بشخصية، ويظهر لنا فشل المبادئ والأفكار المجردة عن التأثير في الناس مالم تعززها الأعمال المعبرة عنها من أشخاص يؤمنون بها حق الإيمان

ومن أعظم ما يشرف الحياة ويجملها ويرفعها في قلوبنا وعيوننا، ويجعل مزاولتها عملا سائغا شائقا، بل رحلة رياضية جميلة حقيقة بالتقدير والإعجاب والغبطة — أن تقدر لنا في بعض مراحل عمرنا على هذا الكوكب الحائر الخامل في ملك الله، معاصرة أحد العباقرة أصحاب الرسالات الإصلاحية الكبرى، وأن تتوشج صلاتنا به، لنستروح إلى جانبه من نفحات السماء مالا تجود به إلا على قليل من أبناء الفناء في فترات متباعدة

هذه «الصحبة» نعمة كبرى في طيها نعم مختلفات متجددات، فإن صاحب العبقرية بما يفيضه على نفوسنا خلال صحبتنا إياه من إعجاب به، وتعاطف معه، ووعى له — يمكننا من أن نستقل جناحيه ونرتفع معه إلى الآفاق العليا، ونقبس معه ومنه من مصادر الإلهام الرفيعة ما يضيء سرائرنا، ويجلى عقولنا، ويصفى حياتنا، فنزداد ثقة إلى ثقة بأنفسنا، ونعلو أمامها على هدى وبصيرة، ومن ثم ترتفع أمامنا الإنسانية بكل ملكاتها، والحياة بكل مضامينها، والوجود بكل آباده وآزاله، إذ لا ثقة بصفة إلا بموصوف ممثل لها

على جناحي هذه العبقرية الصالحة الملهمة نطير إلى تلك الآفاق العليا، وبغير جناحيها لا نطير

بل نظل ملتصقين بتراب هذه الغبراء: نهيم على تربها كما تهيم سوائمها، أو نمشي على بطوننا كما تمشي زواحفها، أو ندب كما تدب حشراتها، وقد نتورط في حمآتها فنظل نسوخ في أوحالها دركا فدركا، منسلخين عن مزايانا واحدة فواحدة، كلما أمعنا في الهبوط، فنعيش كما يعيش دود الأرض في أطباقها الحالكة: كل عمله أن يجذب الطين في جوفه من طرف إلى طرف، ثم يموت فيستحيل كبعض هذا الطين في خسته وقذارته

في غمرة إعجابنا بالعبقرية الصالحة خلال صلاتنا الشخصية بها يفيض على نفوسنا، أو يتفجر في سرائرنا، الإحساس بالحياة الواسعة، وبواجباتنا وحقوقنا نحوها ونحو الوجود بكل آزاله وآباده، وتتأجج في صدورنا الغيرة الصادقة على أداء هذه الواجبات وطلب هذه الحقوق، فينطلق كل من تمسه تلك النفحة من أنانيته الضيقة التي لا مصدر لها إلا عدم الإحساس بالحياة وواجباتها وحقوقها، والتي تجعله يشعر بأنه خليع من المجتمع مبتور من بنيته، بعيد عنه فيما يصيبه من خير وشر، لا هم له منه إلا ذاته الفردة الجافة، ويشعر من أجل ذلك بتفاهة نفسه، وتفاهة مجتمعه، وتفاهة الحياة كلها، كما أنه يشعر بالحرمان والانقباض والقلق والخوف من كل ما حوله وكل من حوله، ويسيء الظن بكل شيء يتعامل معه أو لا يتعامل، بسبب ودون ما سبب، ولا يرى فيما يحيط به، ومن يحيطون به، إلا عدوا مبينا يكيد له، ويتربص به الشر، فأيان أنس منه غرة أعجله بالأذى، ومن ثم لا يكون له من نشاط في الحياة إلا ما يحمى به نفسه، ويحتجن كل قوة تحميه، ولو جنى في سبيل ذلك أعظم الشرور

وما من دافع له إلى ذلك إلا إحساسه بأنه ملعون من الثقة بنفسه وبمن حوله وما حوله، فهو يتمثل اللعنة أيان ولى وجهه، ويتوق لذلك كل شيء ويهرب من كل شيء، مع أنه لا مكان للعنة التي يتوهمها إلا في سريرته

هذه الأنانية الضيقة التي لا أصل لها إلا البلادة — هي أقوى سد يحول بين الإنسان والإحساس بالواجب ورؤيته، فضلا عن التماسه والكدح في البحث عنه ولو كان عند طرف أنفه، ويحول بينه وبين التفكير في أدائه وتهيئة الوسائل المؤدية إليه، فضلا عن أدائه فعلا ولو كان أداؤه من أيسر الميسورات

وما من قوة تصهر هذا السد العائق وتبخره كما تفعل صحبة

العبقري الصالح الزعيم بشخصيته المحبوبة وأعماله الطيبة، وبخاصة إذا كان نبيا أو على شاكلة النبي في شخصيته وسيرته الأمينة، ولا تستثنى من ذلك قوة على الأرض لها مثل هذا الأثر السحري في سريرة الإنسان إلا قوة « الحب ».. والولاء للعبقري الزعيم نوع من « الحب »

من أجل ذلك استأثر العباقرة الزعماء ولا سيما الأنبياء بالهداية والتقويم، واستأثروا بما هو أعمق وأقوى من ذلك وهو انبعاث الإحساس بالحياة والواجب في النفوس المهيأة له كي تطلب الهداية والتقويم

وما من مبدإ من المبادئ، ولا معتقد من المعتقدات، ولا فكرة من الفكر، له هذا الأثر أو ما هو دونه قوة إلا أن يكون متمثلا متجسما في شخص عبقري زعيم. وإبان لا يكن هذا الشخص الذي يتأسى به الناس فكل المبادئ والعقائد والفكر كانت عقيمة بتراء

- يقول الناس كثيرا ما يقوله الشاعر

اعمل بقولي ولا تنظر إلى عملي
ينفعك قولي ولا يضررك تقصيري

وليت هذا كان في الإمكان ! إذن لكانت الفضيلة والمروءة والجمال أعز شأنا، وأكثر جندا، بل لما كان على ظهر هذه الغبراء شرير ولا جاهل ولا قبيح، إذ ما أيسر النصيحة وأيسر فهمها على الناس ولو كانوا أغبى المخلوقات

ولكن الآفة كل الآفة بلادة السريرة التي ينشأ عنها عدم الإحساس بالحياة والواجب

والناموس الذي لا فكاك لنا منه أن العملة التي نتعامل بها هي الأعمال لا الأقوال، والأشخاص لا المبادئ

« اعمل بقولي ولا تنظر إلى عملي . . . » كلام عقيم أبتر، وعملة زائفة لا يثق بها الناس، وإن تظاهروا بقبولها نفاقا، والنفاق هو البضاعة الزائفة التي يبيعها الناس لمن يدفع لهم الأقوال دون الأعمال؛ ولا غبن في الصفقة على البائع ولا المشتري ما دامت البضاعة زائفة وأثمانها زائفة، فكل منهما خادع ومخدوع

وقديما قرر النبي محمد عليه السلام أن « الدين المعاملة » وقال « إن الله لا ينظر إلى صوركم وألوانكم ولكنه ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » فالنية والعمل هما العملة الصحيحة عند الله وعند الناس أيضا

ومن هنا يظهر لنا الخطأ والخطر الذي يقع فيه عن عمد أو غير عمد رجال المبادئ الدينية والسياسية ومن على شاكلتهم حين ينصحون الناس برأي ويعملون هم بغيره، فلا تكون سيرهم مصداق مبادئهم، ثم يعجبون بعد ذلك كيف لا يثق الناس بهم ولا يدينون بمبادئهم، ولا يعملون بها ولو كانوا بها مؤمنين

ولو كان رجال المبادئ هؤلاء جادين في عجبهم لكانوا أشد عجبا من أن يلقاهم الناس بغير الإهمال والمعصية. فلا آفة أخطر على منزلة المبادئ ودعاتها في قلوب الناس كأن يروا هؤلاء الدعاة يقولون ما لا يفعلون. وقد وضح القرآن هذه الحقيقة المرة فقال: « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » وقال: « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون »

إن الطعن في الديانات ونحوها من المبادئ ومحاولة التشكيك فيها لا ينال منها معشار ما ينال منها نفاق المبشرين بها. إن الطعن في المبادئ قد يوتر إيمان المؤمنين بها ويزيدهم إيمانا، ولكن نفاق الدعاة هو الذي يحل عقدة الإيمان بها في قلوب معتنقيها ويفسدها إفسادا، وتغرى النفوس بعداوتها والكفر بها والتمرد عليها تحديا لنفاق دعاتها الذين يأمرون الناس بها وينسون أنفسهم وهذا هو البلاء العظيم

إن شر ما يسلط على مبدإ من عوامل الهدم هو أن يشتد تبشير حماته به بين الناس، بينما هؤلاء الحماة لا يسيرون عليه في نظر الناس. ولعل هذا يفتح عيون المنافقين من دعاة المبادئ والمثل العليا بيننا، فهم بمخالفتهم في سيرهم أقوالهم يشككون الناس فيها ويغرونهم أن يكفروا بها بشر مما ينال منها أعداؤها الذين هم بها كافرون، وعلى حربها قائمون

إن منافقا واحدا من رجال الدين أضر على دينه من ألف ملحد جبار. وإنه ليزعزع من مكانة الدين في ضمائرهم بنفاقه ما لا تزعزع ألوف البراهين العقلية على بطلان الدين

وإن خيانة واحدة من زعيم سياسى أو وطنى أو حاكم ممن يمثلون مبدأ أو نظاما فى المجتمع لتشكك الناس فى مبدئه أو نظامه وتزلزل من ثقة الناس به ما لا تشكك وتزلزل منه ألوف الخيانات من غيرهم ، ولا ألوف الأدلة العقلية ضد هذا المبدإ أو هذا النظام

لا بل تساهل واحد – فضلا عن خيانة واحدة – من جانب أحد القوامين على القانون – وهم ممثلوه فى نظر الناس – يحمل الناس على الاستخفاف به والتمرد عليه وتحديه أكثر مما تحملهم عليه ألوف الجرائم رتكبها من ليسوا من حماة هذا القانون وممثليه ، وأكثر مما تحملهم عليه ألوف نقط الضعف فيه وجرائر الظلم فى تطبيقه ، لأن البراهين العقلية أضعف وسائل الإقناع وأضيمها عند البشر

وإن زلة واحدة من أب أو أم أو أخ أكبر ، أو راع ما فى رعيته – لتغرى هذه الرعية بالزلل ما لا تغريها ألوف الزلات ممن ليسوا آباءهم ولا أمهاتهم ولا رعاتهم بأى صورة من صور الرعاية ، وتجعل كل النصائح والإرشادات والقيانات والقوانين ومكارم الأخلاق ضروبا من العبث الفارغ جديرة بالسخرية والتحدى لا بالطاعة والتوقير

يقول كارليل : « إن العقيدة – مهما صحت وقويت – شئ عديم القيمة إذا لم تصبح جزءا من السلوك والخلق ، بل هى فى الواقع لا وجود لها قبل ذلك ، لأن الآراء والنظريات لا تزال بطبيعتها شيئا عديم النهاية ، عديم الصورة ، كالدوامة بين الدوامات – حتى يتهيأ لها من اليقين المؤسس على الخبرة الحسية محور » تدور حوله . عندئذ تصير إلى نظام معين . ولقد صدق من قال : لا يزول الشك مهما كان إلا بالعمل »

والعقيدة فى نظرنا وفى الواقع لا يمكن أن تكون قائمة ولا صحيحة ولا قوية حتى تصير جزءا من السلوك والخلق ، وهى بغير ذلك قيد مثبط لا باعث محرك هى قيد يلزم الإنسان بالسكون إلى حالة واحدة والجمود عليها والجبن عن التحول عنها والنظر ولو مجردا إلى غيرها ، والقناعة بالبقاء فيها والرضا بها ، والنفور من بذل أى جهد نظرى أو عمل حتى فى مناقشتها وتجربتها ، وتحرمه كل رغبة فى الحركة والعمل . أو هى – إجمالا – تحجر الإنسان حينئذ ، وتقتل فيه بواعث الجهاد بالفكر أو بالعمل ، وتبدو حينئذ تعصبا أو بلادة أو موتا

والمتقد فى هذه الحال يحرص أشد الحرص على شكليات العقيدة ، ويهمل روحها أشد الإهمال ؛ لأن العقيدة فى سريرته ميتة محنطة كالمومياء . فهو يغالط نفسه فى حرصه على الشكليات عن وعى وغير وعى كى يخدر نفسه ويعميها التناقض الفاضح بين مقتضيات روح العقيدة وسلوكه المناقض لها ، وفى ذلك وضع للثقة الزائفة موضع الثقة الصحيحة ، أو العزاء الزائف موضع العزاء الصحيح

إن الحرص على شكليات العقيدة بعد موت روحها فى السريرة الإنسانية ليؤدى وظيفتين أو يسد حاجتين من حاجات السريرة لا مناص منهما :

إحداهما : أنه يمنح السريرة الثقة بشئ ويملؤها به ولو كان وهما باطلا

والسريرة كالمعدة ؛ فالمعدة بطبيعتها محتاجة إلى الطعام ولا غنى لها عنه ، وهى إذا لم تجد الطعام الصالح لم يكن لها مفر من ازدراد طعام أى طعام ، ولو كان متعفنا أو ساما يؤذيها أو يفسدها أو يقتلها ، أو يؤذى الجسد كله أو يفسده أو يقتله ، فالمعول عليه أن تمتلئ ولا تبقى فارغة ولو كانت تلفظ ما يدخلها فور ازدراده ، وهى لا تكاد تلفظه حتى تطلب ما يملؤها ثانية ولو كان مما لفظته ، لأن آلام الفراغ دونها آلام الموت

وكذلك السريرة الإنسانية : لا بد لها من الإيمان بشئ لأنها فى طبيعتها محتاجة إلى الاستقرار على شئ أيا كان ما تستقر عليه ، لأن شعورها بنفسها وبما حولها لا يتهيأ إلا باستقرار على شئ ، ولا يتحقق إلا به . وكل السرائر تؤمن لأن الإيمان وظيفتها ، ولا توجد بل لا تتوهم سريرة تقوى على الحيرة والشك إلى ما لا نهاية وإن انتابتها فترات الحيرة أو الشك أحيانا قصيرة ، كما أنه لا توجد بل لا تتوهم معدة تقوى على الجوع إلى ما لا نهاية وإن أمكن كل معدة الصوم مدة قصيرة أو طويلة حسب طاقتها دون أن تفسد أو تموت ، ودون أن يفسد الجسم كله أو يموت

هذا – وما أكثر السرائر التى تفر إلى التسليم خوفا من عذاب الشك ، وأقل السرائر التى تفر إلى الأفكار خوفا من عذاب الشك أيضا – أما السرائر التى تشك ثم تصر على الشك

إلى ما لا نهاية فشيء وراء الواقع ووراء الوهم

إن السريرة إذا عجزت عن الإيمان الصحيح لجأت إلى الإيمان الزائف . والفرق بينهما أن الإيمان الزائف يقتنع بالشكليات ويكتفي بها عن الحقائق ، وفي ذلك عزاء كاذب للنفوس الضعيفة، وسكينة كاذبة إلى مكانها من الوجود، ومخادعة منها لها بأنها شريكة لأصحاب العقائد في كل مفاخرهم ومغانمهم في انتمائهم إليها

وثانية الوظيفتين أو الحاجتين أن السريرة الضعيفة عاجزة عن احتمال مشقات الجهاد التي يستلزمها الإيمان بروح العقيدة وحقائقها . وهي بحكم ضعفها ضعيفة الضوابط مزروفة الصبر أمام أهوائها وشهواتها الحيوانية المنحطة . وما من عقيدة من العقائد إلا كانت مستلزمة ضبط النفس عن كثير مما تشتهي ، محملة إياها ضروبا من جهاد أهوائها . والحرص على شكليات العقيدة — وهو لا يكلف النفس عسيرا من الجهاد — كفيل بأن يبرز الإنسان أمام نفسه وأمام الناس على أنه من أصحابها ، ويبيح له الحق في مفاخرها ومغانمها بلا ثمن أو ثمن زائف أو ثمن تافه ، ولا حاجة مع ذلك كله إلى تكبد مشقات التجارب القاسية التي يستلزمها الإيمان الصحيح بروح العقيدة وحقائقها . فالحرص على الشكليات يعفي من كل عناء ، ويضمن كل ربح ، ولا يحرم النفس من الانطلاق في كل وجهة كما تملي عليها شهواتها الدنيئة . فما أربحها صفقة في عين صاحبها ، وإن كانت في الواقع أخسر الصفقات ، لأنها خسران للحياة كلها لقاء وهم زائف

كان المسلم مثلا على عهد محمد(ص) لا يحس بأنه حقيق بالإسلام حتى يضع حياته وأسرته وكل قواه وممتلكاته موضع الفداء لتعاليم دينه . وأوجب الإسلام على المسلم أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إليه من نفسه وأسرته وأمواله . والمهم في ذلك هو أن الإسلام لم يلزم المسلم بكل هذه الفروض إلا ليقينه اقتدار المسلم يومئذ عليها ، وقد كان ذلك . وأحيانا كان يضطر المسلم إسلامه يومئذ إلى تمزيق كثير من الروابط العزيزة التي تربطه بأسرته أو إخوانه أو قبيلته أو عرشه ، وهي تنزل من بنية نفسه منزلة أعضائه من جسمه ، فتمزيقها تمزيق لبنية نفسه كأنه نوع من الانتحار ، وكان مع ذلك يقدم على تمزيقها وفي نفسه من الألم لذلك ما لا طاقة للحم والدم به . وكل ذلك في سبيل واجب أعظم، هو تحقيق عقيدته وبسط سلطانها على كل سلطان . فكان من أبر الأبناء بالآباء يستل سيفه لقتال أبيه ، وقتله نفسه أهون عليه من ذلك ، ولكنه يخرج لقتاله حتى يعفيه غيره من هذا الموقف الرهيب الذي يسحق التفكير فيه العقل سحقا . وابن يهم باستلال سيفه لقتل أبيه وهو يحب أباه أشد الحب لأنه يحس أن النبي قد ضاق بكيده ونفاقه ، فيتطوع هو بقتل أبيه إرضاء للنبي وغيرة على أبيه من أن يقتله مسلم غيره فيقتل قاتله المسلم به ، ولكن النبي يعفيه من أداء هذه المهمة التي ينوء بحملها قلب بشري . ومسلم يخرج عن ماله الكثير الذي لم يجمعه إلا درهما درهما بشق النفس في عدة سنين . ومسلمون رضوا بضروب من شظف العيش يضيق بها المتسولون وفي أيديهم من السلطان والأموال ما لم يجتمع لكثير من القياصرة والأكاسرة والفراعنة حتى يوم كانوا يعبدون

وجرى على هذه السنة عشرات الألوف من معتنق العقائد الدينية والمذهبية والوطنية في أوائل ظهورها

ومع ذلك نجد أن هذا الإسلام القوي الذي صنع الأعاجيب الخارقة في أولئك العرب على عهد محمد(ص) — قد عجز في ملايين الحالات اليوم وقبل اليوم عن الوقوف أمام أضعف الشهوات الطارئة ، واكتفى الملايين في تحقيقه بالاسم يسمون به وبركعات وسجدات وتمتمات ، وجوع ساعات ، وإرسال لحى وإعفاء شوارب ، مع استنباط الحيل واستنفادها للزيغ من تكاليفه ، بل بلغ من ضعف سلطان هذا الدين في ملايين النفوس أن اتخذ ستارا لارتكاب ملايين الجرائم التي تتورع عن ارتكابها السباع الضارية ، واتخذ في ملايين الحالات مخدرا بتجرعه الشرير ليسكت ضميره الفطري الضعيف عن تأنيبه على جرائمه ، وقد يتخذه مسوغا يسوغ له جرائمه إرضاء لما طبع عليه من شر وضراوة

يتبع

محمد خليفة التونسي

٤ - عهــــد

للأستاذ محمد محمود جلال بك

في مستهل عام ١٩١٦ تلقيت من الصديق الراحل المرحوم أحمد توفيق البرطباطي كتاباً من أربع صفحات، كله شعر! قصيدة من جيد النظم، بلغت ثمانين بيتاً، همزية القافية، تؤيد ما ذهبت إليه من طول نفسه بقدر ما تؤيد اصطفاءه لوزن وقافية. ولو اقتصرت قصيدته على ما وصفنا لعدت من عيون الشعر

ولكن الشاعر - تولاه الله برحمته - ألمّ فيها التعبير عن شتى النواحي من مذهبه في الحياة، حتى لأعدها ديواناً مستقلاً، وإنها لتحفة رائعة. وقد نشرت في الصفحة ٣٧ من ديوانه دون تاريخ، وحرص على أن يكون عنوانها « أرسلتها لصديق محمد محمود جلال » وهاك مفتتحها : —

ضاع الرجاء فكن بحيث رجائي … واعمل على حسن الوفاء وفائي
إن خان خل أو تغير صاحب … فأنا الحرى بحفظ عهد إخائي
أرسلت قلبي فهو عندك حاضر … وبعدت حتى ما أبين لرائي
خوفاً على من العيون يواقظا … من أن تخدش عفتي وولائي
وإذا رآني الدهر وهو مناوئي … ومناصبي الأيام طول عدائي
ما بين أولاد له وبناته … أغرى البنات وصاح في الأبناء
فبعدت عن أبنائه متحاميا … أخواتهن مجانب الإيذاء
والمرء فيما بينه نسب وما … بين اخته من جامع الآباء
أخفيت وجهي عنه لا عن قتية … فضلاء مثلك غاية الفضلاء
يسرى فيفعل فضلهم بجبينهم … ما يفعل المصباح في الظلماء
فهجرت هذا الناس لا عن رغبة … في الهجر لكن كي أصون حياتي
أنا في الحقيقة من بقية معشر … قاسوا الأمور بحكمة ودهاء
قست الأمور وسستها ببصر اهدى … نظرت به عيني إلى نظرائي
وطرحت أهواء الزمان وريبه … كيلا أسب بخلة الأهواء
الاهوى فى نفس كل أخى حجا … تدلى حبائله ذرا العلياء

٭ ٭ ٭

لقد أحب العزلة وعزف عن ضوضاء المجتمع. أو أن حسه المرهف بكر إليه بالحقائق كأنه ينمو نحو من سبقه هاتفا :

بعدي من الناس بعد عن سقامهم … وقربهم للحجا والدين أدواء

كان نحيلا كثير الصمت دائم التأمل ولم تكن صحته بعيدة عن العلل، فهذه الحال في جثمانه وتلك في سلوكه وتفكيره وثيقتا الصلة، وكل منهما تدفع بالأخرى في تيارها

فكثرة التأمل وطول الصمت توسعان مجال الخيال وإدمان الفكر، فينتجان اكتئابا للحياة، وهذا التبرم بالعيش يؤثر بدوره في جسم صاحبه وصحته. كما أن ضعف الصحة يضعف الاحتمال ويرهف الحس عن طريق ضعف الأعصاب

عرضنا مرة في الحديث لحال الريف وأهله وما تقوى به الأواصر من تراحم بين الكبير والصغير وباقي التعاون من دفع للبؤس والفقر . . . وإذا به يقص علي في تأثر بالغ أنه شهد أخاه الأكبر يوما ينهال بالضرب على قروي من أهل بلدته لسرقة بعض من أمطار الأذرة، والغريب أن الحادث كانت مضت عليه سنوات، ولكنه حين يرويه تكاد تخنقه العبرات، فهو لا يكاد يسيغه ولا ينساه، وكأنه ابن الأمس القريب !

على أنه في عزلته لا يصل إلى الحد الأقصى من مذهب الشاعر الذي ذكرت فهو لا يعيش

كالبيت أفرد لا إيطاء يدركه … ولا سناد ولا في اللفظ إقواء

بل لعله في مذهبه من هذه الناحية أقرب إلى المذهب القائل « الحمية من الناس كالحمية من الطعام شفاء من كل داء » فهو يصون حياءه ويصطفي قليلا من الصحاب يتحامى به جديدا من التجارب

وهو في نظرته للحياة وفي سلوكه بين تياراتها ثابت الوداد أليف الوفاء . . . يتغنى به طربا حين تبسم له الحياة، ويزفر بذكره راثيا حين يسفر له الماء عن سراب

ها هو ذا يجعل من حفاظه طابع نفسه أو موضع اعتزازه وفخاره

إن خان خل أو تغير صاحب   فأنا الحرى بحفظ عهد إخائى

ويعود للمؤثرات وما يخشى منها على نفسه وعلى هذا الخلق الذى يعتز به فيقول :

وطرحت أهواء الزمان وريبه   كيلا أصب بخلة الأهواء

وهل من عابث أشد فتكا بالمرء من أهواء الزمان وريبه ؟ إن البعد عنهما يجعل من المرء موضع ثقة حتى من عدوه ! . . وإنك لتجد الرجل يحسن حكما عن أخيه وتسمع أسلوبه تطمئن به إلى الخير ؛ فإذا جاءت الظروف بذكر رفيق آخر قرع سمعك العجب وفجأك التناقض، ذلك أن الريبة والهوى تختلطان بحكمه الثانى كما كانت له عونا فى حكمه الأول ، وإنما جهلك بصلة له بالأول مهد لفجيعتك بما مد لك من خيوط الأمل . فى حلبة الإنصاف

أما أولئك الذين يطرحون الريب والهوى فقد حصنت أخلاقهم ووقاهم الله أعدى أعدائهم من نفوسهم ، وهم على قلتهم حصن الفضائل وشملها المتوارثة على مر الدهور

ولعل أروع ما يعبر عن وحشته فى هذه الدنيا وما أنتج له سقم صحته وإرهاف حسه من توجه إلى شبهة يأس قوله :

غاض الوفاء فلست ألقى صاحبا   إلا بغير فضيلة ووفاء

ومن كانت هذه حاله كان قليل الخلطاء، وأقل عددا من أصدقاء . وما عرفت له أكثر من صديقين كلاهما أكبر منه سنا . وتلك ظاهرة تستوقف النظر ، وتميط اللثام عن عقل أرجح من المعتاد ، وعن فكر يسبق السن . ولقد كان بعيدا عن اللهو مع حاجته إليه ، عازفا عن العبث ، قليل متع الحياة ، وهما من أسباب العلاج

أما أحدهما فذو نشأة مدرسية تجمل فيا بينهما بعض المشاركة أما بعد هذه المشاركة فلا وشيجة تربطهما من حيث اصطلاح العشرة ونوع الحياة ومذاهب الأخلاق ! ولكن الشاعر لا يكاد يهبط القاهرة حتى يتلازما : كل منهما ظل لأخيه

أما الشاعر فمدته وفاؤه، وأما الصديق فرابطته إكباره لخلقه ومكانته ، وتقديره لشعره ، وله عون من ذوقه للأدب ، وكذلك شاء الله أن يكون فى كفتى الدوافع لدى كل منهما قرب إلى المنتصف حتى يتلاقيا

وأما ثانيهما فذو نشأة قروية، قريب الدار، وجيه فى قومه ، له شهرة واسعة من خلق كريم

والشاعر الراحل شديد الحنين إلى خليه حيثما يكون، ولا يفترق عن أحدهما أو كليهما ما جمعهما المكان، وشعره ترجمان لصداقته وحنينه، ولكل منهما نصيب منه

ولعل أبلغ ما يعبر عن فضيلة الإخاء ذلك الزفر المستمر، وتلك اللوعة الدافقة التى خلفتها فجيعة فى إحداهما « المرحوم الشيخ أحمد السيد »

ولقد قال بعض علماء الأدب إن الشاعر فى شبابه قلما يجيد الرثاء إلا إذا كان المرثى من ذوى قرباه ؛ ولكن ما هى القربى ؟ أليست قربى الأرواح وتقارب الأذواق والنظرات ؟ أليست العبرة بما يكمن فى النفس من حب وتقدير دون نظر إلى نوع القربى أو تخصيص برابطة الدم ؟ أو ليس المرء من بين أهله أعداء، ومن بين الأباعد أقرب الأقرباء ؟ حتى قيل «رب أخ لك لم تلده أمك»

لقد رثاه بقصيدة طيبة شارفت على الأربعين بيتا ، كل بيت فيها آية حب ووفاء . ثم تكررت مناجاته له فى أكثر من موضع مع أن الديوان طبع قبل وفاته بسنوات، ولم يشمل إلا ما كان يحتفظ به حين تطوع أحد عارفى فضله بجمع شتاته وطبعه ، وها هو يهتف باسمه ص ٩٢ من الديوان :

قم خليلى واسمع نداء خليل   لا يمل البكاء حتى يجيبا

قم أحدثك هل مللت حديثى ؟   إن أمرا دهاك عنى غريبا

أتشاغلت عن أخيك بشئ   ما بهذا يلاقى المحب حبيبا

ثم يصف صديقه وصفا يفصح لك عن الخلق الذى أحبه الشاعر وهام به طول حياته وجعله مقياسا لما يكبر فيه الناس

وترى لى حقا لتعرف حقى   وتراه حتما عليك وجوبا

وتذهب نفسه حسرات على من فارق ، فيخاطب الثرى الذى ضم رفاته :

إيه يا قبر إنما دفنوا فيك الأمانى وأودعوك الطيبا

محمد محمود جلال

موازنة وتحليل :

شاعران سجينان ..!

للأستاذ محمد رجب البيومي

نحن الآن أمام شاعرين قذف بهما إلى غياهب السجن، ورسفا في القيود والأصفاد قدراً من الزمان، فلجأ كلاهما إلى القريض يبثه وجده، ويطارحه أساه!

والسجن رهيب موحش، ترتعد له الفرائص، وتقشعر منه الأبدان، وكما يفزع الأسد المكبل في قفصه الحديدي، فكذلك يفزع الشجاع الصنديد حين يهاجمه الظلام في بقعة لا يراوحها الهواء، وأفزع منه الشاعر المرهف، ذو العاطفة المشبوبة، والوجدان المضطرم، فهو من إحساسه في عذاب أي عذاب! وانظر إلى الطائر الغريد يختطف من أيكته الملتفة، ويحبس في الأسلاك المتشابكة، مقصوص الجناح، ثم ابعث عليه الحسرات!

ولن نفكر اليوم في سجوننا المستحدثة بالقرن العشرين، فمهما يولغ في إيحاشها وتضييقها، فهي نظيفة محترمة تدرج فيها الشمس، ويمر بها النسيم، وليست كالسجون العباسية التي حبس بها الشاعران اللهيفان، إذ كانت نقمة من نقم الله، فهي لا تحتوي على منافذ أو مقاعد، ولكنها في الغالب سراديب متوغلة ممتدة في أعماق الأرض، يوضع فيها الأحياء كما يدفن الموتى في اللحود، وهي على ظلامها الدامس، حافلة بما يخيف من الأفاعي والهوام، وقد لا يجد السجين من المكان غير ما يسمح له بالجلوس وحده! والويل له إن وقف أو سار! بل قد يمكث السجين طيلة نهاره فلا يجيئه السجان غير دقيقة واحدة، يقذف له بفتات الطعام وآسن الشراب، وهو مع ذلك يتلهف على لقائه، إذ هو رسول الأحياء إلى الأموات!

وقد قدر لعلي بن الجهم أن يكون نزيل السجون مدة طويلة فانقلب إلى الظلام الموحش، بعد أن نادم المتوكل في قصر الخلافة أمداً طويلاً، ونهل من النعيم والمسرة مالا يقدر بثمن، وجلس على بساط السمر يحتسي الكؤوس ويداعب القيان، وتلك حياة أشبه بالأحلام!

لقد كان بن الجهم خبيث اللسان، فاحش الهجاء، وقد تعددت وشايته إلى الخليفة بأصحابه حتى تيقن افتراءه ودسه فعاقبه بالسجن ليرتدع، ونزعه من أفواه البهجة ومطارف النعيم، ونظر الشاعر فإذا ألسنة السوء تلوك حديثه في كل مكان، فتزيد عليه ما يكابد من الغصص والأشجان. وقد استعطف المتوكل بقصائد باكية، فما نالت من قلبه المرض أي منال، حتى توهم أن السجن قد أصبح مقره الدائم، أبد الحياة. هذا وأقوال الشامتين الساخرين تصل إليه في معتقله فتمزق نياط قلبه وتخرق مسامعه فماذا يصنع لإسكات هؤلاء. وقد صد عنه الخليفة أعنف صدود وأقساه؟ موقف محزن حقاً! وحالة تبعث الرحمة والإشفاق! وقد رأى ابن الجهم أن يظهر ارتياحه لحبسه، وقبوله إياه، في شعر يبعث به إلى الشامتين ليقصروا ألسنتهم عنه، فنظم هذه القصيدة التي نعرض لها الآن، ذراً للرماد في الآماق، وتجلداً على نوائب الأيام!

ومضت الأيام وخرج الشاعر من السجن، وبقيت قصيدته عزاء يندى على المرزوئين بالسجون بعد ذلك، فكانت الأنشودة التي يترنم بها هؤلاء المعذبون في ظلماتهم القاتمة .. ثم رمى الدهر بعاصم بن محمد الكاتب العباسي إلى السجن فرأى من أهواله ما أقض المضجع، وأضرم الشجون. وقد كان يحفظ قصيدة ابن الجهم فرددها في نفسه، مرات ومرات، وأيقن أنها لا يمكن أن تعبر عن عواطف السجناء بحال؛ فهي وإن حفلت بأساليب العزاء والاستسلام، تجافي الواقع الصريح أعنف مجافاة، فاندفع ينقضها بقصيدة تضع الحق في نصابه أمام الناس. وها نحن أولاء نوازن بين القصيدتين! لنرى أي الشاعرين أصاب حظاً من التوفيق والإبداع

لقد كان ابن الجهم يعتقد أنه مقبل على أكاذيب فاضحة، فهو يدافع عن قضية خاسرة لا تجد الناصر المعين، ومن ذا يحبذ السجون من العقلاء؟ لذلك نجده يقمع عواطفه فلا يسمح لها بالظهور في مطلع قصيدته، ويستهدي بعقله الناصح فيهديه إلى غرائب التشبيه! وفي التشبيه مجال فسيح للتلفيق والتنميق، حيث

ينسى القارئ عادة ما بين المشبه والمشبه به من فروق ، ويلهيه وجه الشبه الواضح عما هناك من أبعاد ، وإذ ذاك يجد الشاعر الفرصة مواتية لما يريد أن يقنع به الناس

إن الخيال الزاخر بالتشبيه ليحلق بابن الجهم في أجوائه البديعة فيرى السيف الصارم يغمد في جرابه بعد التجريد ، ويلمح الليث الواثب يربض في غيله الأشب فلا يتردد في الآفاق كما تتردد صغار الوحوش ، ويشاهد البدر المتألق يحتجب وراء الظلام فترة محدودة ثم يضيء واضح القسمات ! كما يعلم أن النار المضطرمة تكمن في الحجر حتى يقدحها الزناد ، والرمح القاتل تتناوله الأكف بالتثقيف وتلهبه النار حتى يستقيم ، فإذا ما حجبه السجن بعد ذلك عن العيون ، فله في السيف والليث والبدر والرمح والنار عزاء أي عزاء وأي عيب على الرجل إذا كان كالليث الصائل ، والنار المضطرمة ، والسيف البتار !

هذا منطق عجيب ، وأعجب منه أن يقتنع الشاعر بوجاهته وسلامته فأخذ بتلابيبه ليقول :

قالوا حبست فقلت ليس بضائري حبسي وأي مهند لا يغمد
أو ما رأيت الليث يألف غيله كبرا وأوباش السباع تردد
والبدر يدركه الظلام فتنجلي أيامه وكأنها تتجدد
والنار في أحجارها مخبوءة لا تصطلي إن لم تثرها الأزند
والزاعبية لا يقيم كعوبها إلا الثقاف وجذوة تتوقد

فهل رأيتم ما فعل التشبيه ؟ لقد كاد أن يجعل السجن أملا باسما تحلم به العيون في غفلات الرقاد ، ولكنه لن يمحو الواقع الأليم ، فالسجن جحيم لا يطاق !

إن عاصما الكاتب ليقرأ الأبيات ثم يقرنها بما يكابده في السجن من ويلات ، فيرى أن كلام ابن الجهم يحتاج إلى تصحيح صريح ، ولن يكون هذا إلا من شاعر قادر يدحض الحجة ويقيم الدليل ! فمن يكون ذاك ؟

لقد اعتمد ابن الجهم على التشبيه ، فليأته عاصم منه ، لينازله بسلاحه في حلبة البيان ، وهنا يظهر الحق للعيان

وسيقف القارئ على المناحة الصاخبة التي تولول في أعماق عاصم حين يجده يصرخ في مطلع القصيدة بقوله :

قالوا حبست فقلت خطب أنكد أنحى علي به الزمان المرصد
لو كنت كالسيف المهند لم يكن وقت الكريهة والشدائد يغمد
لو كنت كالليث الهصور لما رعت في القتاب وجذوتي تتوقد
عفى الليالي لا أذوق لرقدة طعما وكيف يذوق من لا يرقد
في طابق ، فيه النهار مشاكل لليل والظلمات فيه سرمد
فإلى متى هذا الشقاء مؤكد وإلى متى هذا البلاء مجدد

ولك أن تقرأ هذه الأبيات مرة ثانية ، فستجدها تخاطب الشعور وتتجه إلى الإحساس ، فتلتاع لها العاطفة ، وسر ذلك ما تزخر به من الصدق والإخلاص

لقد كان الخيال الذي حلق به ابن الجهم ضعيف المنة ، قصير الجناح ، فالأسير الحبيس ليس كالسيف أو الليث في شيء ، وإلا فكيف يغمد السيف لدى الكريهة النائبة ، وما خلق إلا ليمزق الأشلاء ، ويسفح الدماء ؟ وكيف ينضي الليث عما ينوشه من الثعالب والذئاب ، وهي التي ترهب سلطانه الجبار ؟ هذا ما فطن إليه عاصم ، فاندفع ينقض أبيات صاحبه ، ومعه الحق في دعواه

ولكن لم لم يستطرد الشاعر فينقض التشبيه بالبدر والنار ، كما نقض التشبيه بالسيف والليث ؟ وذلك حتم أكيد عليه ، لأن الشاعر الناقض غير الشاعر المعارض ، فإذا قنعنا من المعارض بالتصوير الكلي ، فلن نرضى من الناقض بغير الاستقصاء والثبات ، ومثل من يعارض في شعر تقوله كمن يبني قصرا جوار قصرك ، فهو لا يتقيد بأسلوبك ونظامك في البناء ، وما عليه إلا أن يحدث بناء تشرئب إليه الأعناق ، أما الشاعر الناقض فلا يبني بيتا جوار بيت ، ولكنه يهدم في صرح مشيد ، فعليه ألا يترك به من المقاصر شاخصة للأبصار !

ولقد صور عاصم ظلام السجن أو تشابه ليله بنهاره ، وتأفف من غياهبه السرمدية ، وشقائه المؤكد ، وهو كلام لن تجد نظيره عند صاحبه ، لأن الأول ثائر ناقم يذيع الفضائح والهنات ، والثاني قانع راض يلتمس المحامد في كل مجال

ثم ماذا بعد ذلك ؟

لقد لجأ ابن الجهم إلى الأسلوب الخطابي في تدليله ، ولا عليه ، فهو شاعر يستحث العاطفة ويخاطب الشعور ، وقد وجد السجين يلزم حبسه كما يلزم الكريم بيته ، ويزوره الناس في غياهبه دون أن يزور أحدا في رحابه ، شأن العظماء المترفين ،

فلم لا يحمد السجون على هـذا التكريم العجيب ! ! ذلك رأى يعلنه ابن الجهم إذ يقول :

والحبس ما لم تغشه لدنية ... شنعاء ، نعم المنزل المتردد
بيت يجدد للكريم كرامة ... ويزار فيه ولا يزور ، ويحمد

وهذا كلام مردود لا يقره عاصم ، وقد شهد فى محبسه كل مذلة وهوان ، ومتى استراح السجين لزواره ، وهم ما بين شامت يبدى التوجع ، ويضمر السرور ، وصديق يذرى الدموع ، ويرسل الزفرات ، وهذا كذاك ، يوقد الشجى فى الضلوع ، بزورته ! وقد عرف عاصم ذلك فاندفع يقول :

ما الحبس إلا بيت كل مهانة ... ومذلة ومكاره لا تنفد
إن زارنى فيه العدو فشامت ... يبدى التوجع تارة ويفند
أو زارنى فيـه الحب فموجع ... يذرى الدموع بزفرة تتردد

وواضح أن ابن الجهم يعترف بهذه الأبيات فى أطواء نفسه ، ولـكنه يلفق الأدلة الوهمية كبتا للشامتين ، ونحن نرفع شاعريته حين نعلم أنه يتصيد المحامد للقفر الوحشى ، وذلك مسلك وعر تتعثر فيـه القرائح الجياد ، أما صاحبه فيصف ما يرى فى القفر الجديب من قسوة وجفاف ، فهو يسير مع التيار ، ولا يقف فى وجهه متحديا العقبات والصعاب !

وقد تعجب لعلى حين ينسى موقفه الطاغى ، وتطغى عاطفته على عقله ، فيرجو الفرج القريب ، ويأمل الرخاء بعد الشدة :

فلكل حال معقب ولربما ... أجلى لك المكروه عما تحمد

قد تعجب لذلك منه وتأباه ، إذ أن المستريح فى محبسه لا يجب أن يفوه بما يشير إلى الضجر والسخط ، ولـكن الحق ظافر غالب ، وقد عجز الشاعر أن يتنكر لعواطفه إلى آخر الشوط ، فعمد إلى إرضائها والترويح عنها ، وهو بذلك يلتقى مع صاحبه عاصم فى مأساة واحدة ، وخطب مشترك ، فلا مجال للمناقشة بعد ذلك ، وقد ذهبا معا يتوسلان ويعتذران ، عسى أن يصيبهما حظ من الصفح والغفران

ولقد كان ابن الجهم بليغا فى اعتذاره ، متفوقا على صاحبه ، فهو يدعو إلى النصفة والسداد ، ويود لو اجتمع فى مجلس واحد مع خصومه أمام الخليفة ليدحض الحق الباطل ، إذ ليس من العدالة أن يتحكم القاعد فى الغائب فيوفر عليه الصدور ويمهشه ما استطاع ، اسمعه يقول

أبلغ أمير المؤمنين ودونه ... خوف العدا ومهامه لا تنفد
إن الذين رموا إليك بباطل ... أعداء نعمتك التى لا تجحد
شهدوا،وغبنا عنهمو فتحكموا ... فينا ، وليس كغائب من يشهد
لو يجمع الخصماء عندك مجلس ... يوما ، لبان لك الطريق الأرشد
والشمس لولا أنها محجوبة ... عن ناظريك لما أضاء الفرقد

والبيت الأخير ممتاز رائع ، وهو فوق إقناعه السديد يدل على ما يعتقده الشـاعر فى نفسه من سمو وسموق ، ونحن نستطرف قوله :

شهدوا،وغبنا عنهمو فتحكموا ... فينا ، وليس كغائب من يشهد

إذ ينبئ عن الظلم الفادح الذى لحق الشاعر بابتعاده عن مقارعة الوشاة ، وقد ذيل البيت بحكمة صادقة تضمن له البقاء

أما عاصم فقد نهج نهجه فى الزلفى ، وراح يتحدث لسيده معتذرا معاتبا ، ويحوم على أفكار صاحبه إذ يقول عن وليه

غذيت حشاشة مهجتى بنوافل ... من سيبه وصنائع لا تجحد
عشرون حولا عشت تحت جناحه ... عيش الملوك وحاجتى تتزيد
فخلا العدو بموضعى فى قلبه ... لحشاه جمرا ناره تتوقد
فاغفر لعبدك ذنبه متطاولا ... فالحقد منك سجية لا تعهد

وهذه أبيات لاتقرن بالأبيات الأولى فهى خالية من القوة والتأثير ، وإن رافقتها فى بعض المعانى فضلا عن الغرض العـام . ولست أستطيب كلمة الحقد فى البيت الأخير ، فهى أبعد ما تكون عن المقام ، إذ لا يليق أن يوصف بها إنسان يعتذر إليه ويتزلف عنده ، هذا إلى القوافى المتكرهة التى ألصقت إلصاقا بالأبيات !

ولن نختم الحـديث عن المقطوعتين قبل أن نجمل الموازنة بينهما فى أسطر محدودة . فنقرر أن أسلوبهما سلس رقيق ، وأن عليا رغم وعورة مسلكه ، وتحديه لشعوره وعواطفه ، قد هدى عاصما إلى ما نظمه من المعانى ، وفتح عليه بما لم يكن يخطر له على بال ، كما ارتفع عنه حين سارا معا فى الاعتذار والعتاب فجاء بما لم يتطاول إليه عاصم ، وإن كنا نأخذ على الشاعرين معا ضيق الأفق ، وقصر النفس ، وسذاجة التفكير ، رغم اتساع المجال ، وفى ذلك بلاء

محمد رجب البيومى

حول مستقبل الأزهر :

الاستقرار أولا

للأستاذ كامل السيد شاهين

إنا وما نكتم من أمرنا كالثور إذ قرب الناخع
أو كالتي يحسبها أهلها عذراء بكرا ، وهي في التاسع !
كنا نرفيها ، فقد خرقت والسع الخرق على الراقع !

إذا كانت الهزات الاجتماعية ، والحروب الكاسحة ، معوقة للتقدم العلمي ، حائلة بين ركب الحضارة وبين الخطو للأمام ، فإن الزلازل التي بلي بها الأزهر منذ ست عشرة سنة ، جديرة أن تهزه هزا عنيفا يكاد يفقده سمته العلمية ، ويشكك الناس في رسالته ، حتى ليوشك أن يبقى اسما فارغا تحته واقع من الفوضى العمياء ، والتهويش المخرب ، والجهل العميق ، والجعجعة الكذوب !

وإذا كان الأزهر في فتائه وإخلاصه للعلم ، واستفراغ جهود أبنائه في الدرس ، وتوفرهم على البحث — لم يستطع أن يساير الركب إلا لاهثا منهوكا ، فأحر به وقد انصرف بنوه رؤساء وأساتذة وطلابا إلى الشغب والإضطراب ، وتنور الحركات السياسية المشئومة ، والجرى معها كما تهوى الأغراض والمنافع ، وإرسال الخطب تغريرا بصغار الطلاب ومغفليهم ، أحر به وقد انصرف بنوه إلى ذلك كله أن يكبوا كبوا لا يسرع معه إلى النهض ، وأن يكون بعيدة من ركب أخيه سشط الجاد ، لا يدركه إلا بالمعجزة تخرق العادة ، وتأتي بما وراء الظنون!

* * *

امتازت السنوات التي قضاها الشيخ الأحمدي شيخا للأزهر (بين سنة ٢٩ وسنة ٣٤) بأنها كانت مخلصة للعلم والدرس والنظام ، ولقد أفاد الطلاب والأساتذة على السواء من هذه النهضة المباركة ، ولا يزال من أصابوا حظهم من الدراسة في هذه الفترة، على قدر من الثقافة الأزهرية الموصلة التي لا تحوج إلا إلى قدر يسير من المعاودة والمراجعة ، ليستوى صاحبها عالما ملما متهيئا للإفادة

ولئن كان للشيخ الأحمدي قد أتم أكبر الإثم بما جارى من السياسة المشئوم بإشا في تلك الفترة ، فأرهب الطلاب والأساتذة ، واتخذ بعض العلماء عيونا على بعض ، وعاقب بالظنة ، وبطش البطشة الكبرى بمن تحوم حولهم شبهة ، وكان غليظ القلب في مصادرة الأرزاق ، وتشريد الأسر ، حتى أصبح الأزهر كله فرقا يموج بالدس والنفاق ، وصار أساتذته في ذلة وانضاع من قلة الرواتب وسوء الحال . . لئن أتم الشيخ الأحمدي هذا الإثم كله لقد ازدهرت الناحية التعليمية في عهده كل مزدهر ، وآتى الاستقرار ثمارا لا تزال حلاوتها ملء الأفواه إلى يوم الناس هذا

وأقبل عهد الشيخ المراغي فكان فيه الخير والشر . كان خيره على الجيوب والبطون ، وكان خيره على الكرامة الأزهرية والسمعة الخارجية الداوية ، وشره كان على العلم والاستقرار ، وكان على الإنتاج والتحصيل والإعداد

حينما ثار العلماء والطلاب بالشيخ الأحمدي ، وهتفوا بالشيخ المراغي ، كانت دعوام الإصلاح والنهوض . فإن كان الإصلاح الذي يريدون إصلاح الرواتب ، وإصلاح الجو الأزهري ، وإصلاح سمعة الأزهر ، فقد تحقق لهم من ذلك بالشيخ المراغي كثير مما يبغون . وإن كان الإصلاح الذي يرجون إصلاحا علميا ، ونهضة واثبة لتحقيق رسالة الأزهر ، فقد ساروا في ذلك خطوات فسيحات ، ولكن . . إلى الوراء !

جاء الشيخ المراغي وفي صدره حب طاغ للأزهريين بعامة ، وللطلاب بخاصة . وانتثرت الثمرة الأولى في عامه الأول ، فلم تتم المقررات، ليس في الكليات وحدها، بل في المعاهد كذلك ، ونادى منادون أن تريث المشيخة بالامتحان حتى يتم الطلاب دروسهم شرحا . وكان حل لهذا المشكل ، ولكن على حساب العلم ؛ فأوحى إلى وضاع الامتحان أن يكون في المقروء لا في المقرر ، فكان هذا بدء الانثلام

وبعد هذا بدأت إضرابات واضطرابات كان يعالجها الشيخ بكثير من الرفق ، وفق هوى الطلاب . فاستشعر الطلاب أنهم

جانب ذو بال فى تسيير دفة الأمور ، فعزلوا وولوا ، وكان ممن عزل بالهتاف والوقيعة ، وممالأة الطلبة « الشيخ الضرغامى شيخ معهد أسيوط ، والشيخ الشرقى شيخ معهد طنطا ، وأمر أمر الطلاب إلى حد كبير حتى كانت المشـيخة تتنور اتجاهاتهم ورغباتهم لتسير كما يطوع هواهم

وفى الحق أن الشيخ المراغى كسب قلوب الطـلاب ، واستطاع أن يكيد بهم لخصومه كيدا بليغا . ولقد تحلق الطلاب يوما فى كلية الشريعة حول شيخ كبير وأهانوه إهانة مستقذرة وكادوا يفتكون به لولا أن ذادهم أخو الشيخ المراغى وابنه عنـه . ولقد كان هيج الطلاب وسفلتهم درعا حصينة وقت الشيخ تلك النقدات اللواذع التى وجهها إليه بعض كبار الشيوخ فى إحدى الـكليات ، حتى لقد تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ، وانفتحت للاعتذار آنذاك أبواب وأبواب . ولقد كتبت « الرسالة » حينئذ تصور هـذه الحال تصويرا لا يزال — على بعد العهـد — يشيع فى النفس أبلغ معانى الحسرة والسخرية

ومهما يكن من أمر هذه الحركات والإضرابات ، فقد كان الطلاب فيما بينهم وبين أنفسهم يعدون ذلك شذوذا وخروجا عن الحد . وكانوا يتلاومون فيما بينهم ، ويتسارون أن هذا أمر خطير غير مشروع ، ويرجون أن يثوبوا إلى النظام بعد حين

وقد كان حالهم على الطريق يسيرا ، لو أن أولى الأمر نكروهم ، وتجهموا لهم ، وتعهدوهم بالنصح وضبط الامتحانات وعدم الترخص فى شئ من أمرها . . ولـكن الأحداث جرت بغير هـذا ، بل مدت للطلاب مدا ، وساقتهم إلى الاعتقاد بأن الإضراب والتهريج ، واختلاق أسباب الشغب ، كلها حقوق مشروعة تباركها المشيخة ، وتدفع إليها

ذلك بأن حكومة الوفد سقطت عام ١٩٣٨ ، فنفخ فى الصور ، وأوذن الأزهريون أن يهبوا لمحاربة مرشحى الوفد ، وتأييد خصومه ، وباركت المشيخة هذه الحركة الدنيئة ، ونشطت فيها نشاطا غير كريم ، وأرسلت السماسرة يوزعون المال لشراء الذمم ، وأوقفت الدراسة أكثر من أربعين يوما حتى قامت الحـكومة الجديدة ببرلمانها الجديد

لقد اسـتغل فى الأزهريين حبهم لأستاذهم الأكبر الذى لا يناصر الوفد ، واستغل فيهم فقرهم وحاجتهم إلى المال ، ولـكن نسيت المشيخة أن هذه حركات سياسية دنسة ، واشتراك الطلاب فيها على هذا النحو إزراء بالأزهر ، وإسقاط له كجامعة تخدم الجميع ، ولها حق الاحترام على الجميع ، ولا ينبغى أن تتخذ لونا سياسيا مهما زها وخلب بريقه

نسيت المشيخة أن الطلاب لهم قلوب وآراء واتجاهات ، وأن شراء ذممهم بالمال تربية سافلة ، وسنة قذرة يجب أن تتوقاها مشيخة كريمة جهد التوقى

نسيت المشيخة أنها بذلك تعلم رجال الأحزاب احتقار الأزهر وآله الذين يسخرون بالدراهم ، ويسيرون بالرشا . . ولقد ذهب الطلاب إلى الدكتور ماهر ذات يوم يطلبون إليه أمرا من أمور الأزهر ، ويذكرونه فضلهم فى خدمة الحـكومة القائمة . فأجابهم : أما ما تذكرون من الفضل . . فلا . . فقد قبضتم الثمن !

هذا العمل كان جديرا أن يصدر من شيـخ غير المراغى العظيم ، ولـكن الشيخ غفر الله له — باع الأزهر فى سبيل الـكيد والمنابذة ، ولم يعبأ بانتقاء السلاح الذى ينبغى له استعماله

إن من الإجرام أن يسير الأزهر فى ركاب حزب من الأحزاب . وإن من الإجرام أن يحاول حزب من الأحزاب أن يلون الأزهر بلونه . يجب أن تتوقى الأحزاب جرجرة الأزهر واستغلاله فى مهاتراتها ومناوراتها ومـكايدها . وإذا كان لا بد للأزهر أن يتحزب ، فليتحزب تحزبا إسلاميا يتفق مع دراسته ورسالته

لقد كان من الآثار الباقية لهذه الحركة المشئومة أن آمن الطلاب والأساتذة من يومئذ بأن الاضطراب أمر مشروع تسنه المشيخة وتباركه وتـكافىء عليه وتدعو له ، وأن الامتحان مأمون الخطر ما دام فى المقرر ، وما دام الأساتذة فى أيدى التلاميذ ، يقررون ما أراد الطلبة لهم أن يقرروا ، وينتهون إلى حيثما يريد الطلبة بهم أن ينتهوا . . وتخرج على هذا الوضع متخرجون هم فى الجهالة ما هم !

وانتهى عهد الشيخ المراغى وقد خلف للأزهر فسادا شاملا وسفنا من أسوإ ما ضرب للمتعلمين فى أى معهد من معاهد التعليم

فإذا كان للشيخ مناح محمودة مشهودة من خلقه ووفائه ،

ومن عزته وإبائه ، ومن علمه وجلالته ، ومن حفاظه وكرامته . فليس هذا عليه بمنكور ، ولكنا لسنا بصدد التحدث عن ذلك؛ وإنما نحن بصدد الحديث فى أمر الفوضى والاستقرار ، فليطرد فيه الكلام حسب

* * *

من بعده تولى الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وقد جاء وصدره تتزاحم فيه الآمال . وأنهى إلى الأزهريين أنه راغب أن يدفعهم إلى الأمام بكلتا يديه .. ولكن مثقلة من انحلال خلق ، وتكتل إقليمى ، ونزوع للفوضى ، مما يحتاج فى علاجه إلى صلابة وجه ، وشدة جسم .. أمر يتكاد رجلاً موفور الحياء، جم التواضع، بالغ الرقة ، كالشيخ مصطفى أن ينجح فى علاجه وتصفيته . إذن فقد مضت الأمور آخذة أخذها القديم ، ولم يتأذن الله للشيخ مصطفى أن يغير من أمر الأزهر شيئا ، ولم يكن الشيخ بطبيعته رجل هذا التغيير .. لقد مات الشيخ مصطفى مغيظا حزينا متأثرا بندامات خشنة مجانبة الذوق والأدب، سكت سمعه فى حرم الأزهر .. لقد قتل الشيخ مصطفى مظلوما .. ظلمه النقراشى باشا إذ ولاه — على رغمه — مشيخة الأزهر !

* * *

وما كاد الشيخ مأمون يقتعد كرسى المشيخة ، حتى قرب وباعد ، وسر وساء ، ولكن فى مدى معقول غير متطرف ، وسار فى الأزهر سيرة تعد مزيجا من (الدودشة) والدهاء . والحق أنه عزم ليردن الطلاب إلى الدرس والنظام وليقيمنهم على الطريق ، وحاول ذلك جاهدا ، وأذن فى المفتشين ليرابطن كل مفتش فى معهد لا يريمه شهرا ، ثم ينتقل إلى آخر ويخلفه مفتش آخر ، وكانت سيرة محمودة لو كتب لها النجاح .. ولكن ثقل النظام على الطلاب ، وبرم الأساتذة بالدرس المستقر ، فتلمسوا الفرص — وما أكثرها — ورجعوا لما اعتادوه من الفوضى والشغب . وحاول الشيخ أن يعالج هذا الاضطراب بضبط الامتحان ؛ ولكن الطلاب قد دخل فى روعهم — من قبل — أن النجاح حق لهم ، وأن الغش حل، بل يدافعون عنه بالمراوى والمدى والقدارات .. وفطنها الطلاب ، وتدخلوا بالكتب ، وزادوا عن حقهم ما أطاقوا ، وكانت حوادث ، وظهر من شيوخ المعاهد من يحمى الغش ويدافع عنه ويواطئ الطلاب عليه ، وظهر من الأساتذة المراقبين من يدير ظهره ليراقب المشرفين حتى إذا بدا منهم أحد اتجه إلى الطلاب يزجرهم إخفاء ما استعمل . غير أن بعض المشرفين آثر الأمانة فى معهد قنا ، وصدق المشيخة ما هنالك ، فألغت الامتحان ، وكانت هذه خطوة جريئة مشكورة

ولكن الشيخ أدركه الهرم ، واضطربت أعصابه ، وبقى مع ذلك يصرف شؤون الأزهر ، ويقوم عليها مصبحا ممسيا ، فخرجت الأمور ممتلة مختلة ، ولم تجن المشيخة ثمار الحزم ، وعاد الطلاب إلى الفوضى والاضطراب على أشنع وجه وأبشع صورة

ومما زاد النقمة على الشيخ أنه شايع السياسة ، واضطهد الإخوان المسلمين حين كانت السياسة تضطهدهم ، وكان جديرا بمشيخة الأزهر أن ترفع يدها فلا تحارب قوما يؤدون رسالة هى لباب رسالة الأزهر ونحها . وأياما كان فقد أسف الشيخ شر إسفاف بجريه فى تيار السياسة التى يجب أن يباعد بين الأزهر وبين رذائلها جهد المباعدة

وما كاد الشيخ عبد المجيد سليم يتولى المشيخة حتى أعلن أن له خططا منهجية يريد الأخذ بها ، ولكنه فوجئ بمطالب ، وتوهض بمصاعب، ردته عما كان يولى وجهه شطره من إصلاح . ثم أدركه الضعف فدخل مجلس الأزهر عنصر سياسى يتكلم باسم الحكومة ، ويقدم طلبات الشايعين لها ، ويتعصب لهم ويحمل المجلس على احتضانهم ؛ لأن فى رفض طلبه إهانة للحكومة واستخفافا بها ، والنار والدمار للمجلس وللأزهر كله، إذا لم تسمع كلمة الحكومة ، ولم يستجب لندائها

وقرب على هذا الأساس ناس ، وبوعد ناس . وعاد شيخ الأزهر بعد مرضته ليأتى باليدين وبالجدران لهؤلاء الذين يتكلمون باسم الحكومة ، بلا مخالفة ولا اعتراض، لأن فى المخالفة الشر كله

ولقد ضخم الوهم من أمر العنصر الطارئ ما ضخم حتى

صارت إشارته حكما، والاستجابة له فنا، وحتى أصبح المجلس بوقا ينفخ فيه واحد فتخرج منه أصوات كثيرة عدد أعضاء المجلس الموقر، كلها منسجمة ملتئمة، لا شذوذ فيها ـ بحمد الله ـ ولا نشوز

وإذا كنا نستنكر من الشيخ المراغى أن يجيش الأزهر عام ١٩٣٨ لمجاراة الوفد، فإننا نستنكر على هذا العهد أن يطامن رأسه كذلك للرغبات الحزبية أيا كان مصدرها

وإذا كنا نعز الأزهر عن أن يسير فى ركاب محمد محمود والنقراشى وعبد الهادى، فإننا نعز الأزهر كذلك عن أن يسير فى ركاب مصطفى النحاس

وإذا كان المتافقة فى عهد السعديين مسلطين على رقاب الأزهريين، وكان المتافقة فى عهد الوفديين مسلطين على رقاب الأزهريين، فإن ذوى الكفاءات جديرون أن يملأوا أنفسهم من الجهد والعمل والجد، وأن يتربصوا بالزعماء فى دورهم وفى أفواه الطرق وأعراض السرادقات هاتفين مصفقين، أولا، فليتخذوا غير الأزهر مكانا يحترم العلم، ولا يضعف أمام الحزبية كما قال الدكتور محمد يوسف موسى

على أن الحكومة ما تفتأ تنادى بتلطيف حدة الحزبية، فيعلن وزير فيها أنه وزير للعلم لا للسياسة، ويصرح آخر بأنه يربأ بنفسه أن يكون عضوا فى حكومة لا تحترم الكفاءات . .

فهل سمع الأزهر . . وهل وعى ؟

يجب أن نعالج الأزهر أولا بالاستقرار، ودعم الاستقرار لا يكون إلا بالقضاء على الجرثومة الخبيثة، جرثومة الحزبية، ثم يطالب منه أن يؤدى رسالته . فأما وهو على هذا النحو، فأمر من يبغون منه الخير، أمر من يطالب من مريض المفاصل أن يسير وثبا، وهو فى كل لحظة يكب لوجهه كبا !

هذا ما رأينا من حال الأزهر، صورناه كما علمناه غير متجنين على أحد، ولا محابين أحدا . ونحن نعلم أن ذلك سترم له أنوف، وتوغر منه صدور، ولكنا آثرنا أن نضع الأمور فى نصابها، ليعلم امرؤ أن التاريخ غير راحم، وليرى أين يضع نفسه

كامل السيد شاهين

المدرس بمعهد القاهرة

الشر الطريف

للأستاذ ثروت أباظة

هى الصكة التى إن أخذت لم تذر، وإن محت لم تدع لصاحب العقل عقلا، أو لصاحب الفؤاد فؤادا، وهى لا تدع لذى الحياة حياة؛ تنحط أول ما تنحط فيفقد الإنسان قوامه وتطير نفسه بددا، حتى إذا راجعت اليد التى أنزلتها رجع الإنسان إلى بعض الرشد منه فيبين له أن الله قد أقام الرجل رجلا حتى يملك زمام أموره، يسيرها فتسير، ويصرفها فتنصرف، فإذا استقام هذا التفكير وجرى فى سننه أصبح الرشد الآئب أكبر من الرشد الهارب، واتكأ المصدوع على سنة الله فى عباده فيرتأب الصدع أو يكاد، وتستقيم النفس بعد التواء. وبعد ففى كل شر خير، وخير معرفة الصاحب خالص الصحبة، من العدو مضمر البغض، خير قديم يلازم كل شر ولا جديد فيه . وقديم كذلك أن أقرب الناس إليك قد يكون أشدهم بغضا لك. فهو يخفى بغضه حتى تصيب الصكة وينزل البلاء على صاحبه، فيزاحم ببغضه هذا البلاء ويستبق إلى إنزال الشر كأنه جزء منه، ينزله فلا يملك المبتلى إلا أن يصرخ « حتى أنت! » فإذا الصرخة فى نفس العدو فرحة؛ فهو موغل فى شره. حتى إذا تبين له أن كيده مردود، وأن الله قد أقام الرجل رجلا حتى يملك زمام أموره، يسيرها فتسير، ويصرفها فتنصرف .. بين ذلك فإذا صاحب الشر مسترجع شره، يضعه فى نفسه نارا تحترق ولا تحرق غيره! فياله من مسكين! هذا هو طريف الشر إذن . . آدمى ذو عقل وصاحب قلب يختزن فى نفسه النار وتحرق قلبه وهو قلبه، وعقله، ولا يملك عقله أن يبعد عنه النار، ويمحقها بجديه!! ترى أى سبيل يسلك حين تنفرج الأزمة وتنفك العقدة؛ أهو راجع إلى ما كان يحاول إظهاره من ود؟ أم هو مستقيم مع الشر الذى زاحم فيه وبه؟ أما صاحب البلاء . . أما هو فما مصيره مع هذه الشرور التى كان يظنها خيرا؟ أهو مصدق نفاقهم الذى

عظة لوزراء اليوم

الشعراء عند عمر بن عبد العزيز

للأستاذ علي محمد حسن العماري

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ثامن خلفاء الدولة الأموية، وجده لأمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ولا شك أنه ورث عن جده هذا كثيراً من صفاته، فكان عادلاً زاهداً متقشفاً حتى عده المؤرخون في سياسته وعدله خامس الخلفاء الراشدين. وقد ظل الناس خصوصاً أهل البيت نحوا من ستين سنة يعانون أنواعا من الشدة والاضطهاد في دولة بني أمية؛ حتى جاء عمر ابن عبد العزيز على رأس المائة الأولى للهجرة، فملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا

ولقد تولى عمر الخلافة وهو كاره. وكان يوده قبل أن تصير إليه أن يبعدها الله عنه، وأن يثني عزم الخليفة سليمان بن عبد الملك عن العهد إليه ولكنه لم يجد سبيلا، فلما وقع الأمر وصارت إليه الخلافة كانت أول كلمة قالها «إنا لله وإنا إليه راجعون» كأنما وقع في شر عظيم. ولا عجب فقد كان يقول: «أنا أخاف فيما ابتليت به حسابا شديدا ومسألة غليظة إلا ما عافى الله ورحم»

كان ورعا زاهدا تقيا فرفع يده عن بيت المال فلم يأخذ منه شيئا، وكف يده عن الفيء فلم ينل منه كثيراً ولا قليلا. وقد حبب إليه أصحابه أن يأخذ من بيت المال مقدار نفقته وقالوا إن جدك عمر بن الخطاب كان يأخذ درهمين كل يوم، فردهم قائلا: إن ابن الخطاب لم يكن له مال لحق له أن يأخذ، وأنا مالي يكفيني

ونذهب نفتش عن مورد رزق أمير المؤمنين الذي تمتد دولته من الصين شرقا إلى بلاد المغرب غربا، فنجد له عبدا يسمى (درهما) يحتطب له — ونجد درهما يضيق بعيشه، ويتبرم بحياته مع هذا الخليفة الزاهد المتقشف، فما هو إلا أن يسأله الخليفة — ماذا يقول الناس يا درهم؟ وهنا ينفث الغلام عن ذات صدره ويجيب الخليفة — وما يقولون؟ الناس كلهم بخير، وأنا وأنت بشر! إني عهدتك قبل الخلافة عطرا لباسا فاره المركب طيب الطعام، فلما وليت ورجوت أن أستريح وأتخلص، زاد عملي شدة وصرت أنت في بلاء، فيقول له الخليفة: اذهب وأنت حر، ودعني وما أنا فيه حتى يجعل الله لي منه مخرجا

ويحرم عمر أولاده المال ويباعد بينهم وبين ترف أولاد الخلفاء، حتى يموت وليس عند أولاده شيء. ولقد أحضرهم قبل موته وهم يومئذ اثنا عشر غلاما فجعل يصعد النظر فيهم ويصوبه حتى اغرورقت عيناه بالدمع ثم قال: «بنفسي فتية تركتهم! يا بني إني مثلت رأيي بين أن تفتقروا في الدنيا وبين أن يدخل أبوكم النار، فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيرا من دخول أبيكم يوما واحدا في النار». قال الرواة — فما احتاج واحد من ولد عمر ولا افتقر

أما الشعراء فكانوا في ذلك العصر الصعاليك السادة، يسيطرون على الحياة الأدبية في الدولة، ويعيشون عيشة الترف والنعيم، يأخذون من عطايا الخلفاء وجوائزهم، فما هو إلا أن ينبغ الشاعر حتى يقصد الوالي فيمدحه، ثم تسمو همته فيرحل إلى الخليفة ويمدحه فيرجع بالمال الوفير والخير الكثير ولم يكن الشاعر من هؤلاء. يعنيه أن يقول الحق أو الباطل، بل كثيرا ما كان يقول غير ما يعتقد، ويعتقد غير ما يفعل. وكان الخلفاء يبذلون للشعراء بسخاء ويعطونهم من بيت مال المسلمين ما نعده نحن إسرافا وفوق الإسراف، بل وما كان يعده معاصروهم من المتورعين ظلما للمسلمين واعتداء على حقوقهم. ولكن الخلفاء كانوا مستريحين إلى هذه الحال، لأن الشعراء في ذاك الوقت أشبه بالصحف الحزبية في وقتنا الحاضر ينشرون فضائل الأصدقاء، ويذيعون مساوئ الأعداء، وكان

كان بغانه حبا؟ أم هو مستبد بعقله مانع شر الشرير باللفظ الخشن والوجه الملتوي! يا هادي السبيل؟ ما السبيل؟ أهو التفاني الدال على الذكاء يرافقه الخبث البين عن التجربة؟ أم هو الصدق الدال على الاستبانة تمازجه الصراحة الواضحة عن النقاء؟ يا هادي السبيل! أكاد أسمعك تقول وهل الدنيا إلا اصطناع غباء وتجربة؟ هو السبيل الأول.. هو السبيل

ثروت أباظة

الأمويون بخاصة يريدون أن يشغلوا الناس حتى لا يتحدثوا في السياسة العليا ووجدوا في الشعراء شاغلا لهم أي شاغل. وقل من الشعراء من كان بريأ بنفسه أن يكون مطية لخليفة أو والٍ أو أمير. وقف عمران بن حطان الخارجي على الفرزدق وهو ينشد شعره فقال عمران:

أيها المادح العباد ليعطى ... إن لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت إليهم ... وارج فضل القسم العواد
لا تقل للجواد ما ليس فيه ... وتسم البخيل باسم الجواد

ولكن هيهات أن يستجيب الفرزدق أو أحد أصحابه الشعراء لهذا النبل. وقد كان من عادة الشعراء أن يفدوا على الخليفة الجديد يهنئونه وينالون منه بسره وخيره فلما تولى عمر بن عبد العزيز وفدوا إليه — كعادتهم — مؤملين طامعين واجتمعوا ببابه منتظرين الإذن، ولكنه لم يأذن لهم. وكان على الشعراء أن يدركوا، فإن الخليفة حرم نفسه وحرم أهل بيته؛ فقد اجتمع الأمويون ببابه يوم تولى الخلافة وأعلمه الحاجب بمكانهم، فقال له: ما يريدون؟ قال الحاجب: ما عودتهم الخلفاء قبلك. وكان معه ابن في سن الرابعة عشرة فقال: يا أبي دعني أجبهم عنك، فأذن له فخرج وقال: — أبي يقرئكم السلام ويقول لكم — إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم — كان على الشعراء أن يتنبهوا ولكن الطمع أعمى أبصارهم فتوسلوا إليه ببعض جلسائه، فقال يا أمير المؤمنين: الشعراء ببابك وأقوالهم باقية وسهامهم مسمومة — قال عمر مالي وللشعراء؟ — قال صاحبه: يا أمير المؤمنين إن النبي صلى الله عليه وسلم قد مدح وأعطى وفيه أسوة لكل مسلم. قال: صدقت فمن بالباب منهم؟ قال ابن عمك عمر بن أبي ربيعة، قال: لا قرب الله قرابته ولا حيا وجهه، أليس هو القائل:

وياليت سلمى في القبور ضجيعتي ... هنالك أو في جنة أو جهنم

والله لا دخل علي أبدا. فمن بالباب غيره؟ قال: جميل بن معمر العذري — قال عمر هو الذي يقول:

ألا ليتنا نحيا جميعا وإن نمت ... يوافق في الموتى ضريحي ضريحها
فما أنا في طول الحياة براغب ... إذا قيل قد سوى عليها صفيحها
أظل نهاري لا أراها ويلتقي ... مع الليل روحي في المنام وروحها

أعرب به، فوالله لا دخل علي أبدا — فمن غير من ذكرت؟ قال: كثير عزة، قال هو الذي يقول.

رهبان مدين والذين عهدتهم ... يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها ... خروا لعزة ركعا وسجودا

فمن بالباب سواه؟ قال الأحوص الأنصاري — قال أبعده الله، ثم من؟ قال: همام بن غالب الفرزدق، قال لا دخل علي أبدا، وذكر لكل منهما شعرا يفسقه به ثم قال فمن غير من ذكرت؟ قال: الأخطل التغلبي قال: أليس هو القائل:

فلست بصائم رمضان عمري ... ولست بآكل لحم الأضاحي
ولست بزاجر عنسا بكورا ... إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعير يدعو ... قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولا ... وأسجد عند منبلج الصباح

فوالله لا وطئ لي بساطا أبدا، وهو كافر. فمن بالباب غير من ذكرت؟ قال: جرير بن عطية قال: فإن كان لابد فهذا. فلما مثل بين يديه قال اتق الله يا جرير ولا تقل إلا حقا، فأنشد قصيدة من رائع الشعر يشكو فيها ما أصاب قومه، ويذكر ما يرجونه من جود الخليفة وعطفه، ويمدح عمر مدحا سريا وفيها يقول

كم باليمامة من شعثاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن يعدك تكفي فقد والده ... كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به ... خبلا من الجن أو مسا من البشر
إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر
أتى الخلافة أو كانت له قدرا ... كما أتى ربه موسى على قدر

فقال يا جرير والله لقد وليت هذا الأمر وما أملك إلا ثلثمائة درهم، فمائة أخذها عبد الله (يريد ولده) ومائة أخذتها أم عبد الله. يا غلام أعطه المائة الباقية، فخرج جرير يقول — إنها لأحب مال كسبته إلي. ويسأله الشعراء: ما وراءك؟ فيقول: ما يسوءكم. خرجت من عند خليفة يعطي الفقراء ويمنع الشعراء.. وإني لراض عنه

علي محمد حسن العماري

قانصوه الغورى

سلطان مصر الشهيد

للأستاذ محمود رزق سليم

الفصل الرابع

أقوال وأحاديث

قال التاجر : يبدو أن السلطان مولع كل الولوع بإقامة المبانى الجميلة والمنازه الرائعة الممتازة

المستوفى زكى الدين : نعم ! إنه لكذلك . ولعلك تشير إلى ما أسسه فى الميدان تحت القلعة ، ذلك الميدان الذى كان فناء موحشا ، وفضاء خاليا . لقد صيره قطعة من الجنة ، وأصبح بما بناه فيه من القصور ، وما أنشأه من البساتين وما غرسه من الأشجار ، منزها ممتازا من منازه مصر . وقد أنفق فى سبيل ذلك نحوا من ثمانين ألف دينار ... لقد بدأ بتعلية حيطان سوره ودك أرضه وتسويتها . ثم بنى فى وجهته الغربية مقعدا وقصرا تلها وحجرة خاصة وبركة جميلة كبرى يبلغ اتساعها نحوا من أربعين ذراعا ، وبنى غير ذلك فيه من الأبنية

وقد جلب إلى بساتينه أشجار الفاكهة من مختلف الألوان وأعواد الأزهار والرياحين ، وأجرى إليها المياه من النيل ، ترفعها السواقى فى مجار خاصة

وأنشأ كذلك قصرا على باب الميدان ، مطلا على الرميلة ، ومهد الطريق بين القلعة والميدان بممشى جميل يتصل بالقصر بوساطة سلالم لطيفة . وأقام للميدان بابين أحدهما كبير ضخم ، هذا فضلا عما بناه من سبل وما جدده من أبنية . فقد جدد من قاعات القلعة الشهيرة ، قاعة العواميد ، والقاعة البيسرية . ولقد علمنا أنه أغلظ على القاضى شهاب الدين أحمد ناظر الجيش هو وإخوته بأن ينزعوا الرخام النفيس من « نصف الدنيا » وهى قاعة والدهم المشهورة ، ورخامها نادر المثال ، أنفق أبوهم فى سبيل اقتنائه مالاً جزيلا ، وجهدا وفيرا . وكانوا يعتبرون هذا الرخام أثرا عزيزا من آثار أبيهم . فانتزعه منهم السلطان قوة وقهرا ، ليجمل به هاتين القاعتين وغيرها . فأصبحت كل منهما زينة للناظرين ، وفتنة للعيون . وبعد تجميلهما انتقلت خوند زوجة السلطان إلى القلعة ، بعد أن ظلت زمنا طويلا مقيمة ببيت الأمير ماماى بين القصرين . وكان يوم انتقالها حافلا ... لقد بسطت على رأسها القبة والطير ، ونثرت عليها خفائف الذهب والفضة ، وفرشت لها الشقق الحريرية من باب الستارة إلى قاعة العواميد

ولقد وردت إلى السلطان منذ أمد قريب هدايا من الشام حافلة ، فى عدادها عدة صناديق خشبية فيها أشجار صالحة للغرس لا يزال الطين عالقا بجذورها ، وهى ما بين أشجار تفاح وكمثرى وسفرجل وقراصية وأعناب مختلفة . وما بين ورد أبيض وسوسن وزنبق . ومن بينها شجرة من أشجار جوز الهند . . فغرس كل ذلك فى بستانه بالميدان . وزود البستان بالمقاعد الكثيرة والمناظر الوثيرة ، حتى صار روضة كاملة وجنة حافلة ، اعتاد السلطان أن ينفق أوقاته مرتاضا بين أحواضها وممراتها ، وأن يقيم مواكبه فيها واستقبالاته ، وأن يعد موائده على مقربة منها ، وأصبحت هذه الروضة تضارع فى جمالها وتنسيقها وطرافة ما فيها ، ما يرويه التاريخ من بساتين خمارويه ...

وليس على السلطان من بأس فى كل ما أنشأه ، سوى هذه المصادرات والغرامات الفادحة ، وسلب مقتنيات الناس بأبخس الأثمان ...

قال الشاعر شهاب الدين : ألم تسمعوا قول الشاعر :

يا من بنى لخلق الله مدرسة أستعموها بعدل أم بطغيان
إذا بنيتم فلا تبنوا على سفه ولا تجوروا بسلب أو بحرمان
فكل شئ بناه الجور منهدم وليس يبقى سوى عقباه للبانى

فقال علم الدين الخياط : صدقت . . ولو أن السلطان نقل الرخام من « نصف الدنيا » إلى مسجده لقلنا سيئة أتبعها حسنة ؟ وقد قال عليه الصلاة والسلام ما معناه « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » . ولكنه نقلها إلى القاعة البيسرية وسواها ، ظهورا وزينة ومتعة ، فهى سيئة أتبعها سيئة ...

التاجر غرس الدين : ليت السلطان يكتفي بعقوبة الأعيان والرؤساء ، ومصادرة أموالهم ونفائسهم ولكنه يعاقبنا كذلك معشر التجار من آن لآخر ، بفرض الضرائب ، الباهظة ، وبغيرها ، كالأمر بتملية الأرصفة أو تخفيضها ... إن علينا نفقاتها ، فوق ما نعانيه من دالة الفعلاء ، وحاملي الأتربة . إذ يرفعون حينذاك الأجور ، ويماطلون في العمل ، فضلا عن عطلنا عن البيع والشراء ، طالما ضاقت صدورنا وامتلأت بالحرج والحنق ، ولكنها الأوامر السلطانية الشريفة ياسيدي ..! ويبدو أنها ترادف الجورق معناه في أيامنا . . زد عليها ضريبة المشاهرة التي أبطلها السلطان حين تفشت الأوبئة في البلاد ، كأنما كان يتقرب إلى الله بإبطالها . ثم سرعان ما عاد ففرضها علينا وزاد عليها . والأمر لله من قبل ومن بعد

المستوفي : إن ما يصيب التجار — يا صديق — قليل من كثير مما يصيب أعيان الموظفين . وويل لكل موظف في الدولة من السلطان .. لقد عودنا أن نشتري الوظيفة بالمال ، من السلطان أو من وسطائه — وهي مع أنها سلعة غالية ، قليلة النفع سريعة النفاق . فمتى ساء ظن السلطان في أحد الموظفين لأقل شبهة أو نميمة ، قبض عليه وصادره ، وأحاط بماله ، وفرض عليه غرما ماليا فادحا ، وعاقبه عقابا شديدا بالضرب بالمقارع ، أو التشهير في الأسواق ، أو عصر الأيدي والأرجل بالمعصارات . أو إحراق الأصابع بالقصب ، أو لي الأصداغ بحبال القنب ، وغير ذلك . وقبل هذا كله تطير الوظيفة من يديه ..

الخياط : مسكين — والله — الشيخ بدر الدين بن مزهر . كان من خيرة زبائننا . وكان ممدودا من الرؤساء والعلماء . لقد ولي عدة وظائف سنية من بينها كتابة السر وقد أخبرني أحد أقاربه أن السلطان قبض عليه وسجنه . ثم وكل أمره إلى الحاج بركات ابن موسى الذي صار محتسبا للقاهرة . وإلى معين الدين بن شمس ، وكيل بيت المال ، وغيرهما ، فعصروا أكعابه وركبه ، وأحاطوا أصابعه بالقصب وأوقدوا النار فيه ، حتى تساقطت سلامياته . واختطفوا أثداءه بكاسات الحديد المحمى ، ثم وضعوها في فمه .. ولووا أصداغه بحبال من قنب حتى نفرت عيناه ... ثم مات ... وقانا الله وإياكم شر العذاب

المستوفي : ولم يكتف السلطان بذلك ، بل سطا بعد حين على قاعات أبيه فاقتلع رخامها وزين به الدهيشة ..

الشيخ ولي الدين : يقال — والله أعلم — إن أبا بكر ابن مزهر يستحق هذا العذاب ، فإنه كان نكبة على الناس وآذى كثيرا منهم إيذاء شديدا . هذا إلى أنه كان يأمر بالسلطنة ، ويغرى الأتابكي قيت بالوثوب عليها . . ووضع أمواله تحت تصرف قيت وعصابته ..

ونحن — وإن كنا لا ندري بواطن الأمور — نستسيغ كل خبر إلا الرشوة التي تقدم للسلطان ووسطائه في سبيل المناصب عنا لها . ولا أدري كيف يشتري الموظفون وظائفهم من السلطان؟ ومن المؤلم أنهم درجوا على ذلك زمنا طويلا ، حتى كاد شراء الوظائف يكون في عداد التقاليد . وإذا استسيغ شراء بعض الوظائف فليس بمستساغ أن يشتري قضاة القضاة مناصبهم ... وهم القوامون على الشريعة ، المهيمنون على العدالة ، فكيف يؤتمنون بعد ذلك على رطيبها ؟ ألا رحم الله السلف الصالح . . ! كان كثير منهم يعف عن ولاية القضاء جملة ، ولو ضرب في سبيل ذلك أو سجن . وقد عزل بعضهم نفسه من هذه الولاية ، وكلما ولوه عزل نفسه . ومنهم من أنف أن ينال من وراء ولايته درهما واحدا . .

المستوفي : بلغني أن قاضي القضاة محيي الدين بن النقيب سعى إلى قضاء الشافعية بنحو سبعة آلاف دينار ، دفع منها للسلطان خمسة آلاف ، وللوسطاء نحو ألفين ، ومن هؤلاء الوسطاء الأمير أزدمر الدوادار . . ومع ذلك عزل هذا القاضي بعد مدة يسيرة لم يستطع خلالها — فيما أظن — أن يستعيض من دنانيره

الشاعر : لقد أصبح ابن النقيب هذا ، والقاضي جمال الدين القلقشندي ، وأضرابهما من قضاتنا الأماثل ، مثلة للناس وأضحوكة لتكالبهم على مناصبهم ، وأصبحوا مثاراً للقيل والقال محلاللهزء والسخرية . وقد داعب أحد أصدقائنا قاضينا ابن النقيب ، فقال فيه :

قاض إذا انفصل الخصمان ردهما	إلى جدال بحكم غير منفصل
يبدي الزهادة في الدنيا وزخرفها	جهراً ويقبل سرا بعرة الجمل

الخياط : أما القاضي عبد البر بن الشحنة فقد هجاه صاحبنا جمال الدين السلموني بقصيدة مرة ، ولكني نسيتها . . . وأصابه بسببها مكروه شديد

الشاعر : أما حادثة السلموني فقد بدأت عندما هجا هذا الشاعر ، القاضي معين الدين بن شمس ، وكيل بيت المال ، هجاء فاحشا . ومعين الدين – كما تعرفون – كثير الشر والأذى . وكان في عداد ما هجاه به هذا البيت

وحرفته قامت على كل حرفة   يركب ياقوتا على فص خاتمه ..

وفي هذا البيت ما فيه من التورية والإقذاع . فشكاه إلى السلطان . فقال له السلطان : إن وجب عليه شيء شرعا ، فأدبه .. فاتخذ ذلك وسيلة إلى القبض على السلموني ، ووضعه في القيد ، وسوقه إلى بيت القاضي عبد البر ، ورافعه أمامه ، وادعى عليه .. فضربه القاضي ووبخه ، وأمر بإشهاره على حمار ، وهو مكشوف الرأس ...

بلغ هذا الحكم مسامع السلطان ، فحنق على معين الدين ، لأنه ادعى زورا أن السلطان أمره بإشهار السلموني ، فقبض على معين الدين ، وسجنه ، وكاد يقطع لسانه ، لولا أنه أرضى السلطان ببعض المال فعفا عنه ...

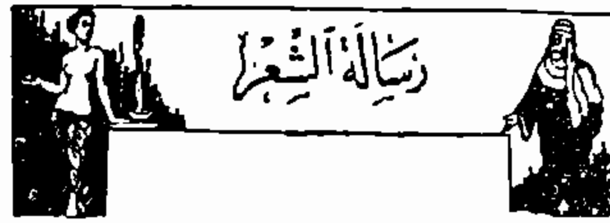
أما السلموني فقد سخط أشد السخط على القاضي عبد البر ، بسبب ما ألحقه به من الأذى ، وهجاه بقصيدة طويلة هجاء فاحشا ، نسب إليه فيه كل كبيرة وصغيرة . وقد شاعت هذه القصيدة وذاعت ، وحفظها كثير من الناس ، من محبي السلموني وغيرهم . وأخذوا يرددونها في مجالسهم تفكها بابن الشحنة ... ومنها هذه الأبيات :

فشا الزور في مصر وفي جنباتها   ولم لا وعبد البر قاضي قضاتها
أينكر في الأحكام زور وباطل   وأحكامه فيها بمختلفاتها
إذا جاءه الدينار من وجه رشوة   يرى أنه حل على شبهاتها
فإسلام عبد البر ليس يرى سوى   بسمته والكفر في سماتها . الخ

فشكاه عبد البر إلى السلطان . فأحضر السلطان الشيخ جمال الدين السلموني ووبخه ، فأنكر أنه نظم هذه القصيدة كلها ولكن أقيمت عليه البينة ، وشهد الشهود . فأمر السلطان بقيده وسجنه بالمدرسة الصالحية . . . ثم أراد القضاة – انتصارا لزميلهم – أن يضربوا هذا الشاعر بالسياط ، ويشهروه في القاهرة ، ثانيا . . فعلم جماعة من العوام بذلك ، وهم من محبي السلموني . فتعرضوا للقضاة وهددوهم بالأذى . وجمعوا الحجارة في أكمامهم ، وهموا برجم القاضي عبد البر ، وهو في طريقه .. فاضطر إلى العفو عن الشاعر دون أن يعزره أو يشهره ، ولكنه تركه في سجنه زمنا . ولهج العامة بأن السلطان على هذا الشاعر ويمنى بأمره ...

فقال الشيخ ولي الدين : ويحكم ! أليس لكم الليلة حديث إلا الغيبة ؟ إنكم لكالغربان لا تسقط إلا على الجيف

للكلام بقية   محمود رزق سليم



ذكرى غرام

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

ذكرى غرام كان في غابر الأزمان
طارت به الأيام في عالم الأوهام
الشاعر الحائر

ولما أن تلاقينا تعانقنا بروحينا
وضم الحب قلبينا وغنى لحن لقيانا

* * *

فغنى القلب أشعارى على أنغام قيثارى
وباح لها بأسرارى وذاب هوى وتحنانا

* * *

ورفرف حولها نشوان بخمر الحب والألحان
وغازل حسنها الفتان فرف الحسن ألوانا

* * *

وناجته وناجاها وفتنته وفتناها
فأشرق في محياها سنا الحب الذى بانا

* * *

شفاك الحسن يا قلبي من الحرمان والجدب
فمت بجنة الحب خفوق الظل نشوانا

* * *

وكنت مضيع الأحلام وكنت مشرد الأنغام
وكنت محير الأيام وكنت تذوب حرمانا

* * *

وكنت تسامر الأحزان وأنت مع الدجى سهران
وتشرب من يد الحرمان بكأس الوجد نيرانا

* * *

وكنت تسير في دنياك على نار من الأشواك
وكأس الحب في يمناك تفيض أسى وأشجانا

* * *

وكنت تقلب الأوهام عساك ترى ظلال غرام
فلا تلقى سوى الآلام تحيل صباك بركانا

* * *

وكنت تذيع ألحانى وفيها سر أشجانى
ليعلم قلبها الحانى بما ضمته شكوانا

* * *

وها قد عادت الأيام ترف بزهرها البسام
وعادت ربة الإلهام بماضينا كما كانا

* * *

سلام الحب يا ليلاى ونجوى القلب يا دنياى
وأزهارى وعطر صباى ترف إليك قربانا

* * *

هواك بمهجتى أفراح وعطرك نشوة الأرواح
وهجرك في حشاى جراح أطوف بهن حيرانا

* * *

وحبك جنة الأشواق وواحة قلبي المشتاق
وأنت بعالمى إشراق لفجر رف مزدانا

* * *

وأنت ربيع أزهارى وأنت خيال أطيارى
وأنت الجدول الجارى فكيف أعيش ظمآنا ؟

* * *

وأنت الجنة الفيحاء تطل على الربا الخضراء

محرمة الجنى عذراء وحتى ثمارها حانا

o o o

وأنت كما يحب هواى وأنت كما تريد مناى
وكم حنت إليك يداى فلاقت منك هجرانا

o o o

تعالى ننفض الأسرار ونهتك هذه الأستار
فيلفحنا لهيب النار ويسرى فى حنايانا

o o o

تعالى فالحياة ظلال تحركها رياح شمال
بضفة جدول سلسال لموج الماء هيمانا

o o o

تعالى فالحياة زهور يرف بها الندى والنور
فتسبح فى الجواء عطور تحيل الكون بستانا

o o o

ويأتى لجاة إعصار يمزق هذه الأزهار
فتنسجها يد الأقدار لوادى الموت أكفانا

o o o

تعالى فالفؤاد ينوح على ذكرى غرام الروح
ويرسل آهة المجروح على الماضى الذى بانا

o o o

إلى الماضى أعيدينى وفى الماضى أذيبينى
فإن الحب يحيينى أحاسيسا ووجدانا

o o o

تعالى قبلما نمضى بروحينا عن الأرض
فنفقد لذة تفضى إلى أسرار محيانا

o o o

تعالى قبلما نفنى وتذهب نارنا منا
ونرجع مثلما كنا هناك . . . وراء دنيانا

ابراهيم محمد نجا

مخلوقة للظلمات

للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى

وهبت قلبى للحرمان والألم فما تريدين ممن عاش للنقم !
يا زهرة السفح هذا السفح مقبرة سكرى برائحة الأجياف والرمم
جوسى بعينيك فالظلماء راعشة
الأشباح . . والغاب وجه للحياة عمى
تسمعى لصرير الجندب انبعثت أصواته فى نشيد غير منسجم
ميلى بجذعك تلق كل عوسجة
أو ارقصى بالصخور السود ترتطمى
فارضى بحظك من هذا التراب فما خلقت كى تبصرى الأضواء من أمم
لا تنسجى من خيوط الشمس واهمة
بردا تسربلك منه راحة الظلم
فلن تكونى هوى قلبى وإن تقفى
يوماً كما تقف الذرات من قدمى
أنى هنا فى سماواتى وأخيلتى فى موكب من جلال الفن والنغم
أبنى العوالم فى فكرى وأهدمها وأحشر الناس والأيام فى حلمى
وأوقف الفلك الجارى بأنملة
وأخلق الخلق من « لاشىء » والعدم
كم ليلة فرقت أضواء أنجمها فى زاخر من محيط السحب والسدم
تركت إعصارها الجبار مصطخبا ونوءها قاذفا بالثلج والرجم
ورحت أغرس فى فردوس صومعتى زهر الربيع وأرعى طفلة النسم
وأستحم بضوء الشمس مبتسما إلى الشتاء الذى غشى على الأمم
وغادة أنا باريها وخالقها كأنها حلم الآزال والقدم
عذراء لو جسدت كفى أنوثتها لقدست بين أهل الأرض كالصنم
ظلت ليلى تشقينى وتسعدنى كأننى فى يديها مزهر الألم
حتى إذا ما أطل الفجر وانتشرت على الدروب رطة الإبل والغنم
سكبت فى أذن الأوراق قصتها وبت أحرق فى ذاك الخيال دمى
فارضى بحظك من هذا التراب فما خلقت لى يا ابنة الأوحال والظلم

محمد مفتاح الفيتورى

محرمة الجنى عذراء ... وحتى ثمارها حانا

* * *

وأنت كما يحب هواى ... وأنت كما تريد مناى
وكم حنت إليك يداى ... فلاقت منك هجرانا

* * *

تعالى ننفض الأسرار ... ونهتك هذه الأستار
فيلفحنا لهيب النار ... ويسرى فى حنايانا

* * *

تعالى فالحياة ظلال ... تحركها رياح شمال
بضفة جدول سلسال ... لموج الماء هيمانا

* * *

تعالى فالحياة زهور ... يرف بها الندى والنور
فتسبح فى الجواء عطور ... تحيل الكون بستانا

* * *

ويأتى لجاة إعصار ... يمزق هذه الأزهار
فتنسجها يد الأقدار ... لوادى الموت أكفانا

* * *

تعالى فالفؤاد ينوح ... على ذكرى غرام الروح
ويرسل آهة المجروح ... على الماضى الذى بانا

* * *

إلى الماضى أعيدينى ... وفى الماضى أذيبينى
فإن الحب يحيينى ... أحاسيسا ووجدانا

* * *

تعالى قبلما نمضى ... بروحينا عن الأرض
فنفقد لذة تفضى ... إلى أسرار محيانا

* * *

تعالى قبلما نفنى ... وتذهب نارنا هنا
ونرجع مثلما كنا ... هناك . . . وراء دنيانا

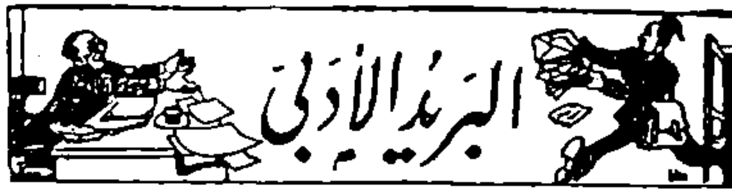
إبراهيم محمد نجا

مخلوقة للظلمات

للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى

وهبت قلبي للحرمان والألم ... فما تريدين ممن عاش للقمم !
يا زهرة السفح هذا السفح مقبرة ... سكرى برائحة الأجياف والرمم
جوسى بعينيك فالظلماء راعشة
الأشباح . . والغاب وجه للحياة عمى
تسمى لصرير الجندب انبعثت ... أصواته فى نشيد غير منسجم
ميلى بجذعك تلق كل عوسجة
أو ارقصى بالصخور السود ترتطمى
فارضى بحظك من هذا التراب فما ... خلقت كى تبصرى الأضواء من أمم
لا تنسجى من خيوط الشمس واهمة
بردا تعريك منه راحة الظلم
فلن تكونى هوى قلبى وان تفنى
يوماً كما تقف الذرات من قدمى
أنى هنا فى سماواتى وأخيلتى ... فى موكب من جلال الفن والنغم
أبنى العوالم فى فكرى وأهدمها ... وأحشر الناس والأيام فى حلمى
وأوقف الفلك الجارى بأعلة
وأخلق الخلق من « لاشىء » والعدم
كم ليلة غرقت أضواء أنجمها ... فى زاخر من محيط السحب والسدم
تركت إعصارها الجبار مصطخبا ... ونوءها قاذفا بالثلج والرجم
ورحت أغرس فى فردوس صومعتى ... زهر الربيع وأرعى طفلة النسم
وأستحم بضوء الشمس مبتسما ... إلى الشتاء الذى غشى على الأمم
وغادة أنا باريها وخالقها ... كأنها حلم الآزال والقدم
عذراء لو جسدت كفى أنوثتها ... لقدست بين أهل الأرض كالصنم
ظلت لبلى تشقينى وتسعدنى ... كأننى فى يديها مزهر الألم
حتى إذا ما علا الفجر وانتشرت ... على الدروب رطة الإبل والغنم
سكبت فى أذن الأوراق قصتها ... وبت أحرق فى ذاك الخيال دمى
فارضى بحظك من هذا التراب فما ... خلقت لى يا ابنة الأوحال والظلم

محمد مفتاح الفيتورى



الكوميديا الإلهية وقصة المعراج :

فى السنة الرابعة من سنى الرسالة نشر الأستاذ دريني خشبة ست مقالات تحت عنوان (دانتي الجيبري والكوميديا الإلهية ، وأبو العلاء المعرى ورسالة الغفران) أثبت فيهما أن دانتي لم يتأثر برسالة الغفران ولا بقصة المعراج ؛ وإنما تأثر بالقرآن الكريم ، وبالإنيادة لفرجيل ورؤيا يوحنا اللاهوتى . ثم نشرنا بحثا فى ثلاثين مقالة لأحد علماء الأزهر الشريف من المطلعين على الأدب الحديث أثبت فيها التشابه القوى بين دانتي وأبى العلاء ، وأيد رأيه بآراء المستشرقين فى هذا الموضوع . وظلت المسألة معلقة بين النفى والإثبات حتى كان فصل الخطاب ذلك الكشف الذى تحدث عنه فى عدد الرسالة الماضى الدكتور أمبرتو ريزيتانو الأستاذ بجامعة فؤاد الأول ، وهو ترجمتان لقصة المعراج لاتينية وفرنسية ، واطلاع دانتي على إحداهما . فلم يبق إذن شك فى أن دانتي استوحى قصة المعراج ملحمته كما استوحاها أبو العلاء رسالته

ثروة من ثروات الأزهر تنتقل إلى جامعة فؤاد

قرر مجلس جامعة فؤاد الأول بجلسة ٣٠ يونيو تعيين الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى أحد علماء الأزهر وخريج جامعة باريس أستاذاً مساعداً للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق وقد كان الأزهر أولى بهذه الثمرات الناضجة التى تفتحت فى جوه ، وعاشت بروحه ، وتعمقت فى ثقافته ، ثم أخذت بنصيب موفور من العلم الحديث بلغته وفى موطنه ؛ فاكتملت لها الأداة لتجديد البالى ، وإصلاح الفاسد ، وتقويم المعوج ، مما كثرت الشكوى منه وطال الجدل فيه من أنظمة الأزهر ومناهجه وكتبه . ولكن الأزهر لأمر يعلمه الله لا يريد أن يغير ما بنفسه ، ولا يحب أن يعترف بالفضل لأهله . والكفاة إذا لم يجدوا الإنصاف فى بيئتهم ومن عشيرتهم تحولوا إلى النظام المنصف . والعلماء إذا لم يجدوا الحقل مهيأ للغراس تركوه إلى المكان الطيب

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون هم

كتب المطالعة الإضافية للمدارس الثانوية :

قررت لجنة النظر فى اختيار كتب المطالعة الإضافية للمدارس الثانوية برياسة صاحب السعادة المستشار الفنى لوزارة المعارف وعضوية أصحاب العزة الأساتذة إبراهيم مصطفى بك ، وأحمد حسن الزيات بك ، وأحمد على عباس بك ، تقرير الجزء الثانى من كتاب (قطوف) للبشرى ، ورواية فى سبيل التاج للمنفلوطى ومجموعة (كل عام وأنتم بخير) لمحمود تيمور بك للسنين الأولى والثانية والثالثة من المدارس الثانوية بنين وبنات

غلام أحمد وأتباعه ليسوا مسلمين :

هذا عنوان كلمة جامعة لأستاذنا الجليل الشيخ محمد الخضر حسين عضو « جماعة كبار العلماء بالأزهر » ، وبقية السلف الصالح علما وتحقيقا وتواضعا ودعوة للدين بالتى هى أحسن (١) . وقد رأينا أن نقتبس منه كلمات ومعلومات لا ريب فيها ، لنرد على كلمة للأستاذ على محمد سرطاوى (٢) أشاد فيها « بمحمد على » تلميذ غلام أحمد الذى ظهر بالهند أوائل هذا القرن

قال الأستاذ الخضر فيما قال

١ — يزعم غلام أحمد أنه يوحى إليه ، فقال فى كتاب « الاستفتاء » ص ٩٥ : فأوحى إلى ربى وقال إنى اخترتك وآثرتك . وزعم أنه نبى ، فقال ص ١٩ من الكتاب نفسه : ثم مع ذلك دعانى الله نبيا تحت فيض النبوة المحمدية وأوحى إلى ماأوحى . وزعم أنه رسول من الله ، فقال فى الكتاب نفسه ص ٣١ : وما أرسلنى ربى إلا ليكف عنكم أيدى الكفار . وقال فى كتاب « أنجام آتهم » ص ٧٩ : فكلمنى ونادانى وقال إنى مرسلك إلى قوم مفسدين

٢ — وله مع هذا كلمات آثمة يمدح بها نفسه ، ومنها مايزعم أنه وحى من الله جل وتعالى . إنه يزعم فى كتاب « الاستفتاء »

---

(١) نشرت هذه الكلمة بمجلة الهداية عدد ديسمبر سنة ١٩٣٩

(٢) عدد ٩٣٨ بتاريخ ٢٥ يونية سنة ١٩٥١

المذكور ص ٨٥ أن مما خاطبه به الله هذه الكلمات: لولاك ما خلقت الأفلاك؛ كما يقول ص ٨٧ عن الله تعالى: وآتاني ما لم يؤت أحداً من العالمين. وقال في كتابه «حمامة البشرى» ص ٢٨ زاعماً أن الله خاطبه به: إنا جعلناك عيسى ابن مريم، وأنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق، وأنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي، وإنك اليوم لدينا مكين أمين

٣ – بل إن هذا الضال الخارج عن الإسلام هو وأتباعه جميعاً، يفضل نفسه على عيسى عليه السلام، إذ يقول في كتاب «أحمد رسول العالم الموعود»: «فالواقع أن الله القدير قد أبلغني أن مسيح السلالة الإسلامية (يعني نفسه) أعظم من مسيح السلالة الموسوية». كما يقول في كتابه «دافع البلاء» ص ١٣: «قد بعث الله تعالى في هذه الأمة مسيحاً أفضل وأرفع في جميع الكمالات عن المسيح السابق، وسماه غلام أحمد»!

هذه العبارات إلى كثير من أمثالها، مما نجده في تضاعيف مؤلفاته بالعربية أو الأوربية أو الفارسية «لا يمكن أن تصدر إلا عن خارج عن الإسلام ضال مضل يسخر من أتباعه ويحاول أن يموه عليهم بدعواه الإسلام والعمل على نشره

وأتباع غلام أحمد – على ما يذكر الأستاذ الشيخ الخضر أيضاً – فرقتان: فرقة قاديان ورئيسها اليوم (٣) محمود بن بشير بن غلام أحمد، وفرقة لاهور ويرأسها محمد علي مترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية، إلا أنه ترجمه على ما شاء ليشهد لعقائدهم الضالة على ما هو معروف لدى أهل العلم

فكيف بعد ذلك يعجب الأستاذ علي محمد سرطاوي بمولاه محمد علي ويدعو المسلمين جميعاً لتكريم رجل يتزعم فرقة ثبت خروجها عن الإسلام بما لا يقبل بدلا؟

محمد يوسف موسى

(٣) يلاحظ أن مقال الأستاذ الشيخ الخضر كتب سنة ١٩٣٩

معوظة على مقال:

قل لي بربك: ماذا يحدث لك لو أنك رأيت خطيب مسجد في قرية يدعو إلى ضرورة ائتلاف الأحزاب حتى نكسب قضيتنا الكبرى، ويقيم البراهين والأدلة على دعواه. كل هذا بين قوم أميين لا يعرفون ما هي هذه القضية فضلا عن أن يفهموا أدلة هذا الشيخ الوقور. قل لي بربك ماذا يحدث لك؟ ثم ضع هذه الصورة بجانب مقال الأستاذ علي الهاري المنشور بالعدد ٩٣٩ من الرسالة بمناسبة شهر الإحسان «سؤال الناس» والذي أخذ يوجه فيه نصائحه التالية إلى المتسولين المحترفين، وأن هذا لا يليق «لأنه يضر بالمجتمع الناهض والأمة التي تريد أن تبني مجدها»

نعم والله. إنه لمجتمع ناهض هذا الذي يقرأ متسولوه مجلة الرسالة الغراء ويستفزهم ذكر الوطن والرق والأمة إلى غير ذلك من الخرافات التي لا نظن أن كثيراً من المثقفين يراعون قداستها فضلا عن المتسولين. أيها الأستاذ الفاضل. من المتسولين يفهمهم أبيات الشنفرى

وأنى داف المجلى؟ اللهم إلا إن كنت تكتب لقراء الرسالة، وقراء الرسالة والحمد لله ليس فيهم من يصح أن تقصده بكتابتك. وأخيراً يدعو إلى العلاج الناجح وهو تفهيم الناس دينهم على حقيقته «وأن يتأكدوا أن هذه المظاهر مما يشين الأمة ويحيط من قدر الوطن» إن هذا المتسول أيها الأستاذ قد شان نفسه قبل أن يشين الأمة، وحط من قدرها قبل أن يحط من قدر الوطن. وهو يعرف ذلك فعبثاً تقول له «الوطن»، «الأمة» إن المعد الخاوية لا تفهم إلا منطق الطعام. فأمسك عليك نصائحك.. واعلم أن هذا موضوع لا يعالج بمثل هذه السهولة

الصافية عبد الفتاح الجزار

إلى الأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

قد وعدتنا أيها الأستاذ الكبير بدرس شعراء العصر في العراق تحليلا ونقداً وقد طال انتظارنا لهذا الوعد، فإن حققتم هذا العمل الأدبي يكن له صدى جميل وأثر طيب في نفوس الأدباء وهواة الأدب، إنا لذلكم مرتقبون

ملوى ضيف الحسيني



الدكتور فيكل

للكاتب الروسى أنطون تشيكوف

بقلم الأديب أزاد نورى محمود

خرجت (واندا) الحسناء من المستشفى وهى فقيرة معدمة . . ماذا تفعل ! وكل ما عندها من حطام الدنيا خاتم ذهبي ذو ماسة براقة ، وقد اضطرت لشدة احتياجها للمال أن تبيعه بروبل واحد . . ولكن روبلا واحدا لا يكفيها لشراء ما تهفو إليه نفسها

إنها تحتاج إلى ملابس جديدة لتبدو فيها أجمل مما هي الآن ، وقبعة بيضاء تزهو بها بين الفتيات ، وهذه الأحذية البالية التى أكل عليها الدهر وشرب تبعث الاشمئزاز إلى نفسها . . ولكن ماذا تفعل ؟

وكانت تشعر بخجل واضطراب كلما رأت العيون تحدق فيها وفى ملابسها الرثة وسحنتها الزرية . والغريب أنها تتوهم أن الحيوانات إذا ما رأتها تتقزز من منظرها وتدمدم غاضبة . وكثيرا ما انفردت بنفسها تناجيها :

— آه . أين ذلك الذى ينتشلنى من هذه الوهدة ، وينقذنى من شقائى . . أخشى ألا أجد أحدا

ثم فكرت فى الذهاب إلى (تيفولى) . . وهناك كانت تأمل أن تلتقى بضالتها المنشودة . ولكن، أبهذه الملابس القذرة المهلهلة تذهب إلى تيفولى ؟ هل تقدم على ذلك ؟

وأطلقت لأفكارها العنان : إلى أين أستطيع الالتجاء ؟ ولا وزر لى فى تيفولى . ألى (ميشيل) ؟ لا ، لقد تزوج منذ أيام ، أم إلى ذلك الهرم الساذج (أوسيب) ، وأخشى أن يكون منهمكا فى أعماله

ثم هبت بغتة عندما جال بخاطرها اسم (فيكل) طبيب الأسنان فى تيفولى ، وتذكرت أنها زارته قبل بضعة أشهر عندما وهبها بعض الأساور الجميلة. وداعبها فى تلك الليلة حتى أغاظها فلم تتمالك أن أفرغت قدحا من الشراب على رأسه . إنه طيب القلب مرح . فلا بد أن يعطيها شيئا إذا زارته اليوم

وهكذا جدت (واندا) السير فى طريقها إلى منزل فيكل وقد سرت فيها انتعاشة فياضة وانبعث منها حمية ونشاط . . وكانت تتمتم بخفوت :

— إذا كان فى المنزل ولم يعطنى شيئا فسأجدع أنفه ! ! وسأحاول إغراءه بشتى الوسائل على أحصل منه على ٢٠ روبلا

لكنها أنكرت هذه الفكرة وحاولت إبعادها من رأسها؛ وانتابتها قشعريرة وأخذت تترنح فى سيرها وشعرت بارتباك وخوف . .

وعندما اقتربت من منزل الطبيب ترددت فى طرق بابه . . وتسمرت فى مكانها لحظات واجمة تفكر :

— ربما يكون قد نسينى .. ثم هذه الملابس الرثة . . هذا المنظر الزرى.. رباه !

وواتتها شجاعة حينما تقدمت غير هيابة وطرقت الباب بقوة . . وصاحت : — هل الطبيب هنا ؟

وبرزت الخادمة . وخطت نحوها ثم قادتها إلى غرفة الانتظار دون أن تنبس . . وغاصت واندا فوق المقعد الوثير سارحة الفكر شاردة اللب.. وأبصرت نفسها فى مرآة مقابلة..لقد كانت صورة واضحة للبؤس والشقاء والتشرد

ثم خاطبتها الخادمة بعد هنيهة :

— تفضلى بالجلوس هنا . . سيحضر الطبيب بعد دقائق

وكانت واندا تفكر فلم تفقه من كلام الخادمة شيئا . . وساءلت نفسها :

— لم هذا التهيب ؟ سأصارحه بالقول وأقترض ما أطلب من مال . . ولا عيب فى ذلك ! وسيتذكرنى حالما يرانى . . ولكن هذه الخادمة السمجة ، مالها جمدت فى مكانها لا تبرحه؟ لن أصعد إلى غرفته إن بقيت فى مكانها

وفجأة دخل (الدكتور فيكل) بقامته الفارعة ووجهه المتجهم وعينيه اللتين ينبعث منهما وميض الاعتزاز والكبرياء ، تدل سحنته العابسة على أنه متشبث برأيه يصعب إقناعه . ودهشت واندا لتجهمه وعبوسه وقد عهدت فيه المرح والانشراح. وفي تلك الليلة التي زارته في منزله داعبها وهو طلق الأسارير ضحوك . ما باله تغير هكذا ؟ وكأنه ببروده وتكلفه الابتسام موظف رسمي في ديوانه ...

واقترب من واندا وقبل أن يتفرس فيها جيداً سألها بهدوء :

— ماذا بوسعي أن أفعله لك ؟

ووجف قلبها عندما خاطبها الطبيب بلهجة من لا يعلم عنها شيئا . . وأخذت تحدق في تلك الخادمة الامينة بنظرات تتلظى وغضب مكتوم ، واصطبغت وجنتاها بحمرة خفيفة عندما خاطبها ثانية : — هل أستطيع أن أقوم بشيء ؟

وأجابته على الفور بصوت متهدج واهن وهي تضغط على نواجذها :

— أسناني . . أسناني تؤلمني قليلا يا دكتور . .

— ها . . صحيح ؟ وتذكرت واندا سنا لها كانت تؤلمها أحيانا :

— في الفك الأسفل ، نحو اليمين . ... حسنا افتحي فمك جيدا ...

وزوى فيكل ما بين حاجبيه وبدت عليه صرامة قاسية وتنهد تنهدة عميقة ، ثم شمر عن ساعديه وأمر أصابعه على أسنان الفتاة بهدوء ، ثم أدخل في فمها آلة قاطعة :

— هل هذه السن تؤلمك ؟ نعم .

واستقلت بين يديه بجمود وتراخ وشرعت تفكر

— إذا عرفته بنفسي .. فلابد أنه يتذكرني جيدا ، ولكن هذه الشيطانة لا تزال جامدة هناك كالصنم

وشعرت بألم حاد حينما اقتلع سنها بقوة ، وندت عنها صرخة مكتومة وحاولت أن تمسك يديه . . وصاح فيها : — ماذا تفعلين ؟ إن سنك قد فسدت ولا تصلح لك ألبتة . . وعليك ألا تهمل شأن أسنانك منذ اليوم يا صغيرتي . .

قال هذا واستوى واقفاً على قيد خطوات منها وكأنه ينتظر خروجها . بعد أن أنهى عمله.. وهبت الفتاة ناهضة وتوجهت نحو الباب بخطى مضطربة والتفتت نحو الطبيب وقالت وقد افتر ثغرها عن ابتسامة متكلفة :

— إلى اللقاء يا دكتور . .

وأمسك فيكل زمام ضحكة كانت على وشك الانطلاق ثم أجابها بتهكم مرير :

— إلى أين ؟ لقد نسيت الأجر !

واصفر وجه (واندا) ثم اكتسى بحمرة الخجل ، لكنها تمالكت نفسها :

— أوه ... المعذرة ، لقد نسيت ذلك ؟ عفواً .

وازداد ارتباكها وهي تتلقى نظراته النفاذة ، وسرعان ما أخرجت الروبل الوحيد الذي تملكه وألقته بين يدي الدكتور فيكل وهي ترتعش ..

ومرقت من الغرفة ماضية نحو الشارع محلي وهي تشعر بخجل لم تشعر بمثله في حياتها . وطفقت تطرق الشوارع الفقراء بحذاءيها الباليين وهي ساهمة شاردة ، ولطالما كانت تحلم بالملابس الجديدة والقبعة البيضاء ذات الشرائط الوردية وآمالها الموءودة.. من يدري ؟..

أزاد شوري محمود